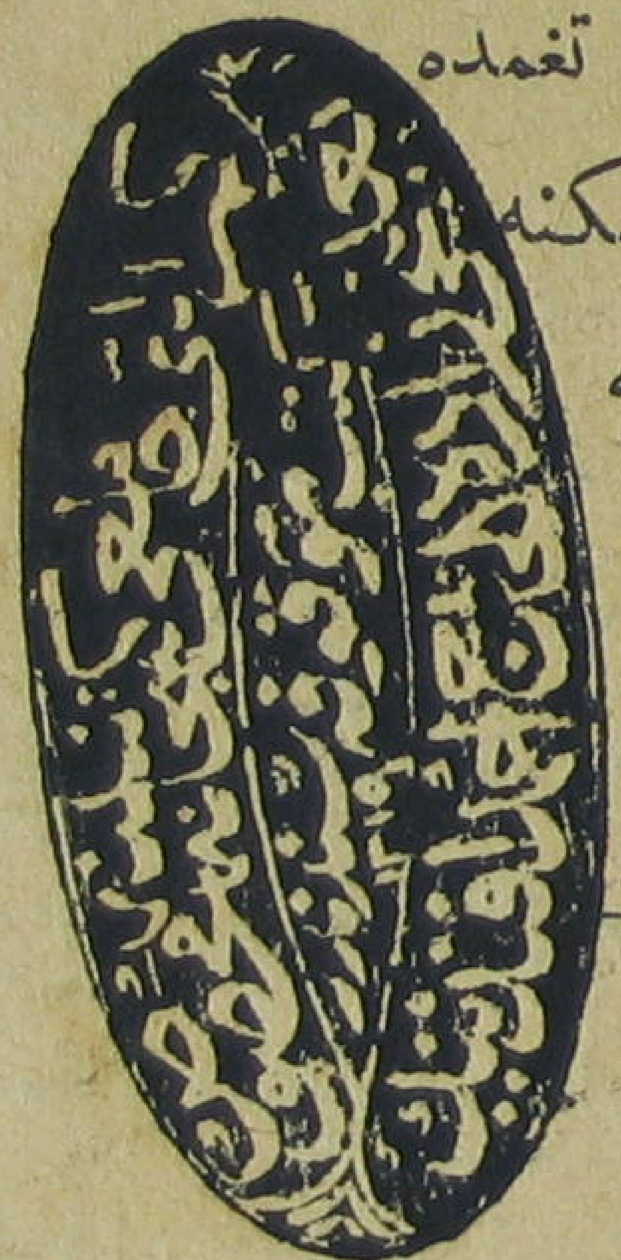


الفرقان

بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان

تأليف

الشيخ الامام شيخ مشايخ الاسلام احمد
بن عبد الحليم بن عبد السلام بن
تيمية الحراني الحنبلي تغمده
الله برحمته وأسكنه
فسيح جنته
آمين



مطبعة التقدم بشارع محمد علي بمصر

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي نستعينه • ونستهديه ونستغفره • ونعوذ بالله من شرور
أنفسنا • ومن سيآت أعمالنا • من يهده الله فلا مضل له • ومن
يضلل فلا هادي له • ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لاشريك له •
ونشهد أن محمداً عبده ورسوله • أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره
على الدين كله وكفى بالله شهيدا • أرسله بين يدي الساعة بشيرا
ونذيرا • وداعيا إلى الله باذنه وسراجا منيرا • فهدى به من الضلالة •
وبصر به من العمى • وأرشد به من الغي • وفتح به أعينا عميا • وآذانا صما •
وقلوبا غلفا • وفرق به بين الحق والباطل • والهدى والضلال • والرشاد
والغي • والمؤمنين والكفار • والسعداء أهل الجنة والأشقياء أهل النار •
وبين أولياء الله وأعداء الله فمن شهد له محمد صلى الله عليه وسلم بانه
من أولياء الله فهو من أولياء الرحمن • ومن شهد له بانه من أعداء الله
فهو من أولياء الشيطان * وقد بين سبحانه وتعالى في كتابه وسنة
رسوله صلى الله عليه وسلم أن لله أولياء من الناس وللشيطان أولياء ففرق
بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان فقال تعالى (ألا إن أولياء الله لا خوف
عليهم ولا هم يحزنون الذين آمنوا وكانوا يتقون لهم البشرى في الحياة الدنيا
وفي الآخرة لا تبديل لكلمات الله ذلك هو الفوز العظيم) وقال تعالى
(الله ولى الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات الى النور والذين كفروا
أولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور إلى الظلمات أولئك أصحاب النار

هم فيها خالدون) وقال تعالى (يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى
أولياء بعضهم أولياء بعض ومن يتولهم منكم فانه منهم إن الله لا يهدي
القوم الظالمين فترى الذين في قلوبهم مرض يسارعون فيهم يقولون نخشى
أن تصيبنا دائرة فعسى الله أن يأتي بالفتح أو أمر من عنده فيصبحوا
على ما أسروا في أنفسهم نادمين ويقول الذين آمنوا أهؤلاء الذين أقسموا
بالله جهد أيمانهم انهم لمعكم حبطت أعمالهم فأصبحوا خاسرين يا أيها
الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأت الله بقوم يحبهم ويحبونه
أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون
لومة لائم ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم إنما وليكم الله
ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون
ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا فان حزب الله هم الغالبون) وقال
تعالى (هنالك الولاية لله الحق هو خير ثواباً وخير عقبا) وذكر أولياء
الشيطان فقال تعالى (فاذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم
إنه ليس له سلطان على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون انما سلطانه على
الذين يتولونه والذين هم به مشركون) وقال تعالى (الذين آمنوا
يقاتلون في سبيل الله والذين كفروا يقاتلون في سبيل الطاغوت فقاتلوا
أولياء الشيطان إن كيد الشيطان كان ضعيفا) وقال تعالى (وإذ قلنا
للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس كان من الجن ففسق عن
أمر ربه أفتتخذونه وذريته أولياء من دوني وهم لكم عدو بئس للظالمين
بدلا) وقال تعالى (ومن يتخذ الشيطان ولياً من دون الله فقد خسر
خسرانا مبينا) وقال تعالى (الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا
لكم فاخشوهم فزادهم إيمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل فانقلبوا بنعمة

من الله وفضل لم يمسسهم سوء واتبعوا رضوان الله والله ذو فضل عظيم إنما ذلكم الشيطان يخوف أولياءه فلا تخافوهم وخافون إن كنتم مؤمنين) وقال تعالى (إنا جعلنا الشياطين أولياء للذين لا يؤمنون وإذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليها آباءنا) إلى قوله (إنهم اتخذوا الشياطين أولياء من دون الله ويحسبون أنهم مهتدون) وقال تعالى (وإن الشياطين ليوحون إلى أوليائهم ليجادلوكم) وقال الخليل عليه السلام (يا أبت إني أخاف أن يمسك عذاب من الرحمن فتكون للشيطان ولياً) وقال تعالى (يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء تلقون إليهم بالمودة) الآيات إلى قوله (إنك أنت العزيز الحكيم)

فصل

واذا عرف أن الناس فيهم أولياء الرحمن وأولياء الشيطان فيجب أن يفرق بين هؤلاء وهؤلاء كما فرق الله ورسوله بينهما فأولياء الله هم المؤمنون المتقون كما قال تعالى (ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون الذين آمنوا وكانوا يتقون) (وفي الحديث) الصحيح الذي رواه البخاري وغيره عن أبي هريرة رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال يقول الله من عادى لي ولياً فقد بارزني بالمحاربة أو فقد آذنته بالحرب وما تقرب إلي عبدي بمثل أداء ما افترضت عليه ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه فاذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها في يسمع وبي يبصر وبي يبطش وبي يمشي ولئن سألني لأعطينه ولئن استعاذني لأعيذنه وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن قبض نفس عبدي

المؤمن يكره الموت وأكره مساءته ولا بد له منه وهذا أصح حديث يروى في الأولياء فبين النبي صلى الله عليه وسلم أنه من عادى ولياً لله فقد بارز الله بالمحاربة (وفي حديث آخر) وإني لأثأر لأوليائي كما يثأر الليث الحرب أي آخذ ثارهم ممن عاداهم كما يأخذ الليث الحرب ثاره وهذا لان أولياء الله هم الذين آمنوا به ووالوه فأحبوا ما يحب وأبغضوا ما يبغض ورضوا بما يرضى وسخطوا بما يسخط وأمروا بما يأمر ونهوا عما نهى وأعطوا لمن يحب أن يعطى ومنعوا من يحب أن يمنع كما في الترمذي وغيره عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال أوثق العرى في الايمان الحب في الله والبغض في الله (وفي حديث آخر) رواه أبو داود قال ومن أحب لله وأبغض لله وأعطى لله ومنع لله فقد استكمل الايمان . والولاية ضد العداوة وأصل الولاية المحبة والقرب وأصل العداوة البغض والبعد وقد قيل ان الولي سمي ولياً من موالاته للطاعات أي متابعته لها والاول أصح والولي القريب فيقال هذا يلي هذا أي يقرب منه (ومنه قوله صلى الله عليه وسلم) ألحقوا الفرائض بأهلها فما أبقت الفرائض فلأولى رجل ذكر أي لأقرب رجل إلى الميت ووكده بلفظ الذكر ليبين أنه حكم يختص بالذكور ولا يشترك فيه الذكور والاناث كما قال في الزكاة فابن لبون ذكر فاذا كان ولي الله هو الموافق المتابع له فيما يحبه ويرضاه ويبغضه ويسخطه ويأمر به وينهى عنه كان المعادي لوليه معادياً له كما قال تعالى (لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء تلقون اليهم بالمودة) فمن عادى أولياء الله فقد عاداه ومن عاداه فقد حاربه فلهذا قال من عادى لي ولياً فقد بارزني بالمحاربة (وأفضل أولياء الله) هم أنبياؤه وأفضل أنبيائه هم المرسلون منهم وأفضل المرسلين أولوا العزم نوح وابراهيم وموسى وعيسى ومحمد صلى الله عليه وسلم قال تعالى

(شرع لكم من الدين ماوصي به نوحا والذي أوحينا اليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه) وقال تعالى (واذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ابن مريم وأخذنا منهم ميثاقا غليظا ليسأل الصادقين عن صدقهم وأعد للكافرين عذاباً أليماً) وأفضل أولوا العزم محمد صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين وإمام المتقين وسيد ولد آدم وإمام الانبياء اذا اجتمعوا وخطيبهم اذا وفدوا صاحب المقام المحمود الذي يغبطه به الاولون والآخرون وصاحب لواء الحمد وصاحب الحوض المورود وشفيع الخلائق يوم القيامة وصاحب الوسيلة والفضيلة الذي بعثه الله بأفضل كتبه وشرع له أفضل شرائع دينه وجعل أمته خير أمة أخرجت للناس وجمع له ولأمته من الفضائل والمحاسن مافرقه فيمن قبلهم وهم آخر الأمم خلقاً وأول الامم بعثا كما قال صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح نحن الآخرون السابقون يوم القيامة بيد أنهم أوتوا الكتاب من قبلنا وأوتيناه من بعدهم فهذا يومهم الذي اختلفوا فيه يعني يوم الجمعة فهدانا الله له الناس لنا تبع فيه غداً لليهود وبعد غد للنصارى (وقال صلى الله عليه وسلم) أنا أول من تنشق عنه الارض (وقال صلى الله عليه وسلم) آتي باب الجنة فاستفتح فيقول الخازن من أنت فأقول أنا محمد فيقول بك أمرت أن لاأفتح لاحد قبلك وفضائله صلى الله عليه وسلم وفضائل أمته كثيرة ومن حين بعثه الله جعله الله الفارق بين أوليائه وبين أعدائه فلا يكون ولياً لله الامن آمن به وبما جاء به واتبعه باطناً وظاهراً ومن ادعى محبة الله وولايته وهو لم يتبعه فليس من أولياء الله بل من خالفه كان من أعداء الله وأولياء الشيطان قال تعالى (قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله) قال

الحسن البصري رحمه الله ادعى قوم انهم يحبون الله فأنزل الله هذه الآية محنة لهم وقد بين الله فيها أن من اتبع الرسول فان الله يحبه ومن ادعى محبة الله ولم يتبع الرسول صلى الله عليه وسلم فليس من أولياء الله وان كان كثير من الناس يظنون في أنفسهم أو في غيرهم أنهم من أولياء الله ولا يكونوا من أولياء الله فاليهود والنصارى يدعون انهم أولياء الله وأحباؤه قال تعالى (قل فلم يعذبكم بذنوبكم بل أنتم بشر ممن خلق الآية) وقال تعالى (وقالوا لن يدخل الجنة الا من كان هوداً أو نصارى تلك أمانيهم) الى قوله (ولاهم يحزنون) وكان مشركو العرب يدعون أنهم أهل الله لسكناهم مكة ومجاورتهم البيت وكانوا يستكبرون به على غيرهم كما قال تعالى (قد كانت آياتي تتلى عليكم فكنتم على أعقابكم تنكصون مستكبرين به سامراً تهجرون) وقال تعالى (واذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك) الى قوله (وهم يصدون عن المسجد الحرام وما كانوا أولياءه إن أولياؤه الا المتقون) فبين سبحانه أن المشركين ليسوا أولياءه ولا أولياء بيته إنما أولياؤه المتقون (وثبت في الصحيحين) عن عمرو بن العاص رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول جهاراً من غير سر إن آل فلان ليسوا لي بأولياء يعني طائفة من أقاربه إنما ولي الله وصالح المؤمنين) وهذا موافق لقوله تعالى (فان الله هو مولاه وجبريل وصالح المؤمنين) الآية وصالح المؤمنين هو من كان صالحاً من المؤمنين وهم المؤمنون المتقون أولياء الله ودخل في ذلك أبو بكر وعمر وعثمان وعلي وسائر أهل بيعة الرضوان الذين بايعوا تحت الشجرة وكانوا ألفاً وأربعمائة وكلهم في الجنة كما ثبت في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال لا يدخل النار أحد بايع تحت الشجرة *ومثل هذا الحديث الآخر إن أوليائي المتقون

أياً كانوا وحيث كانوا كما أن من الكفار من يدعي انه ولي الله وليس ولياً لله بل عدو له فكذلك من المنافقين الذين يظهرون الاسلام يقرون في الظاهر بشهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وأنه مرسل الى جميع الانس بل الى الثقلين الانس والجن ويعتقدون في الباطن ماينافض ذلك مثل ان لايقروا في الباطن بأنه رسول الله وانما كان ملكا مطاعاً ساس الناس برأيه من جنس غيره من الملوك أو يقولون انه رسول الله الى الاميين دون أهل الكتاب كما يقوله كثير من اليهود والنصارى أو أنه مرسل الى عامة الخلق وأن لله اولياء خاصة لم يرسل اليهم ولا يحتاجون اليه بل لهم طريق الى الله من غير جهته كما كان الخضر مع موسى أو أنهم يأخذون عن الله كلما يحتاجون اليه وينتفعون به من غير واسطة او انه مرسل بالشرائع الظاهرة وهم موافقون له فيها واما الحقائق الباطنة فلم يرسل بها أو لم يكن يعرفها أوهم أعرف بها منه أو يعرفونها مثل مايعرفها من غير طريقته وقد يقول بعض هؤلاء ان أهل الصفة كانوا مستغنين عنه ولم يرسل اليهم ومنهم من يقول إن الله أوحي الى أهل الصفة في الباطن مااوحي اليه ليلة المعراج فصار اهل الصفة بمنزلته وهؤلاء من فرط جهلهم لايعلمون أن الاسراء كان بمكة كما قال تعالى (سبحان الذي أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى الذي باركنا حوله) وان الصفة لم تكن الا بالمدينة وكانت صفة في شمالي مسجده صلى الله عليه وسلم ينزل بها الغرباء الذين ليس لهم أهل وأصحاب ينزلون عندهم فان المؤمنين كانوا يهاجرون الى النبي صلى الله عليه وسلم الى المدينة فمن امكنه أن ينزل في مكان نزل به ومن تعذر ذلك عليه نزل في المسجد الى أن يتيسر له مكان ينتقل اليه ولم يكن اهل الصفة ناساً باعيانهم يلازمون الصفة

بل كانوا يقلون تارة ويكثرون اخرى ويقيم الرجل بها زمانا ثم ينتقل منها والذين ينزلون بها هم من جنس سائر المسلمين ليس لهم مزية في علم ولا دين بل فيهم من ارتد عن الاسلام وقتله النبي صلى الله عليه وسلم كالعرنيين الذين اجتووا المدينة أي استوخموها فأمر لهم النبي صلى الله عليه وسلم بلقاح أي أبل لها لبن وأمرهم أن يشربوا من أبوالها وألبانها فلما صحوا قتلوا الراعي واستاقوا الذود فأرسل النبي صلى الله عليه وسلم في طلبهم فأتي بهم فأمر بقطع أيديهم وأرجلهم وسمرت أعينهم وتركهم في الحرة يستسقون فلا يسقون وحديثهم في الصحيحين من حديث أنس وفيه أنهم نزلوا الصفة فكان ينزلها مثل هؤلاء ونزلها من خيار المسلمين سعد بن أبي وقاص وهو أفضل من نزل بالصفة ثم انتقل عنها ونزلها أبو هريرة وغيره وقد جمع أبو عبد الرحمن السلمي تاريخ من نزل الصفة (وأما الانصار) فلم يكونوا من أهل الصفة وكذلك أكابر المهاجرين كأبي بكر وعمر وعثمان وعلي وطلحة والزبير وعبد الرحمن بن عوف وأبي عبيدة وغيرهم لم يكونوا من أهل الصفة وقد روي انه كان بها غلام للمغيرة بن شعبة وان النبي صلى الله عليه وسلم قال هذا واحد من السبعة وهذا الحديث كذب باتفاق أهل العلم وان كان قد رواه أبو نعيم في الحلية وكذا كل حديث يروى عن النبي صلى الله عليه وسلم في عدة الأولياء والابدال والنقباء والنجباء والاوتاد والاقطاب مثل أربعة أو سبعة أو اثني عشر أو أربعين أو سبعين أو ثلاثمائة أو ثلاثمائة وثلاثة عشر أو القطب الواحد فليس في ذلك شيء صحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم ولم ينطق السلف بشيء من هذه الالفاظ الا بلفظ الابدال وروي فيهم حديث انهم أربعون رجلا وانهم بالشام وهو في المسند من حديث علي كرم الله وجهه وهو حديث منقطع ليس بثابت

ومعلوم ان علياً ومن معه من الصحابة كانوا افضل من معاوية ومن معه بالشام فلايكون أفضل الناس في عسكر معاوية دون عسكر علي وقد أخرجا في الصحيحين عن أبي سعيد عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال تمرق مارقة من الدين على حين فرقة من المسلمين يقتلهم أولى الطائفتين بالحق وهؤلاء المارقون هم الخوارج الحرورية الذين مرقوا لماحصلت الفرقة بين المسلمين في خلافة علي فقتلهم علي بن أبي طالب وأصحابه فدل هذا الحديث الصحيح على أن علي بن أبي طالب أولى بالحق من معاوية وأصحابه وكيف يكون الابدال فى أدني العسكرين دون أعلاهما * وكذلك مايرويه بعضهم عن النبي صلى الله عليه وسلم انه أنشد منشد

قدلسعت حية الهوى كبدي * فلا طبيب لها ولاراق
الاالحبيب الذى شغفت به * فعنده رقيتي وترياقى

وان النبي صلى الله عليه وسلم تواجد حتي سقطت البردة عن منكبه فانه كذب باتفاق أهل العلم بالحديث وأكذب منه مايرويه بعضهم انه مزق ثوبه وان جبريل أخذ قطعة منه فعلقها على العرش فهذا وأمثاله ممايعرف أهل العلم والمعرفة برسول الله صلى الله عليه وسلم أنه من أظهر الاحاديث كذبا عليه صلى ألله عليه وسلم * وكذلك مايروونه عن عمر رضي الله عنه أنه قال كان النبي صلى الله عليه وسلم وأبو بكر يتحدثان وكنت بينهما كالزنجي وهو كذب موضوع باتفاق أهل العلم بالحديث والمقصود هنا انه فيمن يقر برسالته العامة في الظاهر ومن يعتقد في الباطن مايناقض ذلك فيكون منافقاً وهو يدعي في نفسه وأمثاله انهم أولياء الله مع كفرهم في الباطن بما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم اما عنادا واما جهلا كما ان كثيراً من النصارى واليهود يعتقدون انهم أولياء الله وان محمداً

رسول الله لكن يقولون إنما أرسل الى غير أهل الكتاب وإنه لايجب علينا اتباعه لانه أرسل الينا رسلا قبله فهؤلاء كلهم كفار مع أنهم يعتقدون فى طائفتهم انهم أولياء الله وانما أولياء الله الذين وصفهم الله تعالى بولايته بقوله (ألا إن أولياء الله لاخوف عليهم ولاهم يحزنون الذين آمنوا وكانوا يتقون) ولابد في الايمان من أن يؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسوله واليوم الآخر ويؤمن بكل رسول أرسله الله وكل كتاب أنزله الله كما قال تعالى (قولوا آمنا بالله وما أنزل الينا وما أنزل الى ابراهيم واسمعيل واسحاق ويعقوب والاسباط وما أوتي موسى وعيسى وما أوتي النبيون من ربهم لانفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون فان آمنوا بمثل ما آمنتم به فقد اهتدوا وان تولوا فانماهم في شقاق فسيكفيكهم الله وهو السميع العليم) وقال تعالى (آمن الرسول بما أنزل اليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لانفرق بين أحد من رسله) الى آخر السورة وقال في أول السورة (الم ذلك الكتاب لاريب فيه هدى للمتقين الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون والذين يؤمنون بما أنزل اليك وما أنزل من قبلك وبالآخرة هم يوقنون أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون) فلابد في الايمان من أن تؤمن أن محمدا صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين لانبي بعده وان الله ارسله الي جميع الثقلين الجن والانس فكل من لم يؤمن بما جاء به فليس بمؤمن فضلا عن ان يكون من اولياء الله المتقين ومن آمن ببعض ماجاء به وكفر ببعض فهو كافر ليس بمؤمن كما قال الله تعالي (ان الذين يكفرون بالله ورسله ويريدون ان يفرقوا بين الله ورسله ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ويريدون ان يتخذوا بين ذلك سبيلا اولئك هم الكافرون

حقاً واعتدنا للكافرين عذابا مهينا والذين آمنوا بالله ورسله ولم يفرقوا
بين احد منهم أولئك سوف يؤتيهم أجورهم وكان الله غفورا رحيما)
ومن الايمان بانه الواسطة بين الله وبين خلقه في تبليغ أمره ونهيه
ووعده ووعيده وحلاله وحرامه فالحلال ما أحله الله ورسوله
والحرام ماحرمه الله ورسوله والدين ماشرعه الله ورسوله صلى الله
عليه وسلم فمن اعتقد ان لاحدمن الاولياء طريقاً الى الله من غير متابعة
محمد صلى الله عليه وسلم فهو كافر من أولياء الشيطان . واما خلق الله
تعالى للخلق ورزقه اياهم واجابته لدعائهم وهدايته لقلوبهم ونصرهم
على اعدائهم وغير ذلك من جلب المنافع ودفع المضار فهذا لله وحده يفعله
بمايشاء من الاسباب لايدخل في مثل هذا وساطة الرسل ثم لو بلغ الرجل
فى الزهد والعبادة والعلم مابلغ ولم يؤمن بجميع ماجاء به محمد صلى الله
عليه وسلم فليس بمؤمن ولا ولى لله تعالى كالاحبار والرهبان من علماء
اليهود والنصاري وعبادهم وكذلك المنتسبين الى العلم والعبادة من
المشركين مشركى العرب والترك والهند وغيرهم ممن كان من حكماء
الهند والترك وله علم أوزهد وعبادة في دينه وليس مؤمناً بجميع ماجاء
به فهوكافرعدو لله وان ظن طائفة انه ولي لله كما كان حكماء الفرس من
المجوس كفارا مجوساً وكذلك حكماء اليونان مثل ارسطو وامثاله كانوا
مشركين يعبدون الأصنام والكواكب وكان ارسطو قبل المسيح عليه
السلام بثلاثمائة سنة وكان وزيرا للاسكندر بن فيلبس المقدوني وهو الذي
يؤرخ له تواريخ الروم واليونان وتؤرخ به اليهود والنصاري وليس هذا
هوذو القرنين الذى ذكره الله في كتابه كما يظن بعض الناس ان ارسطو
كان وزيراً لذى القرنين لما رأوا ان ذاك اسمه الاسكندر وهذا قد

يسمى بالاسكندر ظنوا ان هذا ذاك كما يظنه ابن سينا وطائفة معه وليس
الأمر كذلك بل هذا الاسكندر المشرك الذى قد كان ارسطو وزيره
متأخراً عن ذاك ولم يبن هذا السور ولاوصل الى بلاد يأجوج ومأجوج
وهذا الاسكندر الذي كان ارسطو من وزرائه يؤرخ له تاريخ الروم
المعروف وفي أصناف المشركين من مشركي العرب ومشركي الهند والترك
واليونان وغيرهم من له اجتهاد في العلم والزهد والعبادة ولكن ليس بمتبع
للرسل ولا مؤمن بما جاؤا به ولا يصدقهم فيما أخبروا به ولا يطيعهم فيما
أمروا فهؤلاء ليسوا بمؤمنين ولا أولياء الله وهؤلاء تقترن بهم الشياطين
وتنزل عليهم فيكاشفون الناس ببعض الامور ولهم تصرفات خارقة من جنس
السحر وهم من جنس الكهان والسحرة الذين تنزل عليهم الشياطين
قال الله تعالى (هل أنبئكم على من تنزل الشياطين تنزل على كل أفاك
أثيم يلقون السمع وأكثرهم كاذبون) وهؤلاء جميعهم الذين ينتسبون الى
المكاشفات وخوارق العادات اذ لم يكونوا متبعين للرسل فلا بد أن
يكذبوا وتكذبهم شياطينهم ولابد أن يكون في أعمالهم ماهو إثم وفجور
مثل نوع من الشرك أو الظلم أو الفواحش أو الغلو أو البدع في العبادة
ولهذا تنزلت عليهم الشياطين واقترنت بهم فصاروا من أولياء الشيطان
لامن أولياء الرحمن قال الله تعالى (ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض
له شيطانا فهو له قرين) وذكر الرحمن هو الذكر الذى بعث به رسوله
صلى الله عليه وسلم مثل القرآن فمن لم يؤمن بالقرآن ويصدق خبره
ويعتقد وجوب أمره فقد أعرض عنه فيقيض له الشيطان فيقترن به
قال تعالى (وهذا ذكر مبارك أنزلناه) وقال تعالى (ومن أعرض
عن ذكري فان له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى قال رب لم

حشرتني أعمى وقد كنت بصيراً قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى) فدل ذلك على أن ذكره هو آياته التي أنزلها ولهذا لو ذكر الرجل الله سبحانه وتعالى دائماً ليلا ونهاراً مع غاية الزهد وعبده مجتهداً في عبادته ولم يكن متبعاً لذكره الذى أنزله وهو القرآن كان من أولياء الشيطان ولو طار في الهواء أومشي على الماء فان الشيطان يحمله في الهواء وهذا مبسوط في غيرهذا الموضع

فصل

ومن الناس من يكون فيه إيمان وفيه شعبة من نفاق كما جاء في الصحيحين عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال أربع من كن فيه كان منافقاً خالصاً ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتي يدعها اذا حدث كذب واذا وعد أخلف واذا أئتمن خان واذا عاهد غدر (وفي الصحيحين أيضاً) عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال الايمان بضع وستون أو بضع وسبعون شعبة أعلاها قول لا اله الا الله وأدناها إماطة الأذى عن الطريق والحياء شعبة من الايمان فبين النبي صلى الله عليه وسلم أن من كان فيه خصلة من هذه الخصال ففيه خصلة من النفاق حتي يدعها (وقد ثبت في الصحيحين) أنه قال لأبي ذر وهو من خيار المؤمنين انك امرؤ فيك جاهلية فقال يارسول الله أعلى كبر سنى قال نعم (وثبت في الصحيح) عنه أنه قال أربع في أمتى من أمر الجاهلية الفخر في الاحساب والطعن في الانساب والنياحة على الميت والاستسقاء بالنجوم (وفي الصحيحين) عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال آية المنافق ثلاث اذا حدث كذب

واذا وعد أخلف واذا ائتمن خان (وفي صحيح مسلم) وان صام وصلى وزعم انه مسلم (وذكر البخارى) عن ابن ابي مليكة قال ادركت ثلاثين من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم كلهم يخاف النفاق على نفسه وقد قال الله تعالى (وما أصابكم يوم التقى الجمعان فباذن الله وليعلم المؤمنين وليعلم الذين نافقوا وقيل لهم تعالوا قاتلوا في سبيل الله أو ادفعوا قالوا لو نعلم قتالا لاتبعناكم هم للكفر يومئذ أقرب منهم للايمان) فقد جعل هؤلاء الى الكفر أقرب منهم للايمان فعلم أنهم مخلطون وكفرهم اقوى وغيرهم يكون مخلطا وايمانه اقوى واذا كان أولياء الله هم المؤمنون المتقون فبحسب ايمان العبد وتقواه تكون ولايته لله تعالى فمن كان أكمل ايمانا وتقوى كان أكمل ولاية لله فالناس متفاضلون في ولاية الله عزوجل بحسب تفاضلهم في الايمان والتقوي وكذلك يتفاضلون في عداوة الله بحسب تفاضلهم فى الكفر والنفاق قال الله تعالى (واذا ما أنزلت سورة فمنهم من يقول أيكم زادته هذه ايمانا فأما الذين آمنوا فزادتهم ايمانا وهم يستبشرون وأما الذين في قلوبهم مرض فزادتهم رجساً الى رجسهم وماتوا وهم كافرون) وقال تعالى (انما النسيء زيادة في الكفر) وقال تعالى (والذين اهتدوا زادهم هدي وآتاهم تقواهم) (وقال تعالى فى المنافقين) في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضاً) فبين سبحانه وتعالى أن الشخص الواحد قد يكون فيه قسط من ولاية الله بحسب إيمانه وقد يكون فيه قسط من عداوة الله بحسب كفره ونفاقه وقال تعالى (ويزداد الذين آمنوا إيمانا) وقال تعالي (ليزدادوا إيمانا مع إيمانهم)

فصل

وأولياء الله على طبقتين سابقون مقربون وأصحاب يمين مقتصدون ذكرهم الله في عدة مواضع من كتابه العزيز في أول سورة الواقعة وآخرها وفي سورة الانسان والمطففين وفي سورة فاطر فانه سبحانه وتعالى ذكر في الواقعة القيامة الكبرى في أولها وذكر القيامة الصغرى في آخرها فقال في أولها (اذا وقعت الواقعة ليس لوقعتها كاذبة خافضة رافعة اذا رجت الارض رجا وبست الجبال بساً فكانت هباء منبثاً وكنتم أزواجا ثلاثة فأصحاب الميمنة ما أصحاب الميمنة وأصحاب المشئمة ما أصحاب المشئمة والسابقون السابقون أولئك المقربون في جنات النعيم ثلة من الاولين وقليل من الآخرين) فهذا تقسيم الناس اذا قامت القيامة الكبري التي يجمع الله فيها الاولين والآخرين كما وصف الله سبحانه ذلك في كتابه في غير موضع ثم قال تعالي في آخر السورة (فلولا) أي فهلا (اذا بلغت الحلقوم وأنتم حينئذ تنظرون ونحن أقرب اليه منكم ولكن لا تبصرون فلولا ان كنتم غير مدينين ترجعونها ان كنتم صادقين فأما إن كان من المقربين فروح وريحان وجنة نعيم وأما إن كان من أصحاب اليمين فسلام لك من أصحاب اليمين وأما إن كان من المكذبين الضالين فنزل من حميم وتصلية جحيم إن هذا لهو حق اليقين فسبح باسم ربك العظيم) وقال تعالى في سورة الانسان (إنا هديناه السبيل إما شاكراً وإما كفورا إنا أعتدنا للكافرين سلاسل وأغلالا وسعيراً إن الابرار يشربون من كأس كان مزاجها كافورا عيناً يشرب بها عباد الله يفجرونها تفجيرا يوفون بالنذر ويخافون يوما كان شره مستطيراً ويطعمون الطعام على حبه

مسكيناً ويتيماً وأسيرا إنما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شكورا إنا نخاف من ربنا يوماً عبوساً قمطريرا فوقاهم الله شر ذلك اليوم ولقاهم نضرة وسرورا وجزاهم بما صبروا جنة وحريرا) الآيات (وكذلك ذكر في سورة المطففين فقال (كلا إن كتاب الفجار لفي سجين وما أدراك ما سجين كتاب مرقوم ويل يومئذ للمكذبين الذين يكذبون بيوم الدين وما يكذب به إلا كل معتد أثيم إذا تتلى عليه آياتنا قال أساطير الأولين كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون ثم إنهم لصالوا الجحيم ثم يقال هذا الذي كنتم به تكذبون كلا إن كتاب الأبرار لفي عليين وما أدراك ما عليون كتاب مرقوم يشهده المقربون إن الأبرار لفي نعيم على الأرائك ينظرون تعرف في وجوههم نضرة النعيم يسقون من رحيق مختوم ختامه مسك وفي ذلك فليتنافس المتنافسون ومزاجه من تسنيم عيناً يشرب بها المقربون) (وعن ابن عباس) رضى الله عنهما وغيره من السلف قالوا يمزج لاصحاب اليمين مزجا ويشرب بها المقربون صرفا وهو كما قالوا فانه تعالى قال يشرب بها ولم يقل يشرب منها لانه ضمن ذلك قوله يشرب يعني يروى بها فان الشارب قد يشرب ولا يروى فاذا قيل يشربون منها لم يدل على الري فاذا قيل يشربون بها كان المعنى يروون بها فالمقربون يروون بها فلا يحتاجون معها إلى ما دونها فلهذا يشربون منها صرفا بخلاف أصحاب اليمين فانها مزجت لهم مزجا وهو كما قال تعالى في سورة الانسان (كان مزاجها كافورا عيناً يشرب بها عباد الله يفجرونها تفجيرا) فعباد الله هم المقربون المذكورون في تلك السورة وهذا لان الجزاء من جنس العمل في الخير والشر (كما قال النبي صلى الله عليه وسلم) من نفس عن مؤمن كربة من كرب

الدنيا نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة ومن يسر على معسر يسر
الله عليه في الدنيا والآخرة ومن ستر مسلماً ستره الله في الدنيا والآخرة
والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه ومن سلك طريقاً يلتمس
فيه علما سهل الله له به طريقاً إلي الجنـة وما اجتمع قوم في بيت من
بيوت الله يتلون كتاب الله ويتـدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينة
وغشيتهم الرحمة وحفتهم الملائكة وذكرهم الله فيمن عنده ومن أبطأ به
عمله لم يسرع به نسبه رواه مسلم في صحيحه (وقال صلى الله عليه وسلم)
لراحمون يرحمهم الرحمن إرحموا من في الارض يرحمكم من في السماء
قال الترمذي حديث صحيح (وفي الحديث الآخر الصحيح الذي في
السنن) يقول الله تعالى أنا الرحمن خلقت الرحم وشققت لها إسما من إسمي
فمن وصلها وصلته ومن قطعها بتته (وقال) ومن وصلها وصله الله ومن
قطعها قطعه الله ومثل هذا كثير (وأولياء الله تعالى على نوعين) مقربون
وأصحاب يمين كما تقدم * وقد ذكر النبي صلى الله عليه وسلم عمل القسمين
في حديث الاولياء فقال يقول الله تعالى من عادى لي ولياً فقد بارزني
بالمحاربة وما تقرب إلى عبدي بمثل أداء ما افترضته عليه ولا يزال عبدي
يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه فاذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به
وبصره الذى يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التى يمشي بها (فالابرار
أصحاب اليمين) هم المتقربون إليـه بالفرائض يفعلون ما أوجب الله عليهم
ويتركون ما حرم الله عليهم ولا يكلفون أنفسهم بالمندوبات ولا الكف عن
فضول المباحات (وأما السابقون المقربون) فتقربوا إليه بالنوافل بعـد
الفرائض ففعلوا الواجبات والمستحبات وتركوا المحرمات والمكروهات فلما
تقربوا اليه بجميع ما يقـدرون عليه من محبوباتهم احبهم الرب حباً تاما

(كما قال تعالى) ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه يعني
الحب المطلق كقوله تعالى (إهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت
عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين) أي أنعم عليهم الانعام المطلق التام
المذكور في قوله تعالى (ومن يطع الله والرسول فاولئك مع الذين أنعم الله
عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا)
فهولاء المقربون صارت المباحات في حقهم طاعات يتقربون بها الى الله
عز وجل فكانت أعمالهم كلها عبادات لله فشربوا صرفا كما عملوا له صرفا
والمقتصدون كان في أعمالهم ما فعلوه لنفوسهم فلا يعاقبون عليه ولا يثابون
عليه فلم يشربوا صرفاً بل مزج لهم من شراب المقربين بحسب ما مزجوه
في الدنيا (ونظير هـذا) إنقسام الأنبياء عليهم السلام إلى عبد رسول
ونبي ملك وقد خير الله سبحانه محمداً صلى الله عليه وسلم بين أن يكون
عبداً رسولا وبين أن يكون نبيا ملكا فاختار أن يكون عبداً رسولا
فالنبي الملك مثل داود وسليمان ونحوهما عليهما الصلاة والسلام قال الله
تعالى في قصـة سليمان الذي (قال رب اغفرلي وهب لي ملكا لا ينبغي
لاحد من بعدي إنك أنت الوهاب فسخرنا له الريح تجري بأمره رخاء
حيث أصاب والشياطين كل بناء وغواص وآخرين مقرنين فى الأصفاد
هذا عطاؤنا فامنن أو أمسك بغير حساب) اي إعط من شئت واحرم من
شئت لا حساب عليك فالنبي الملك يفعل ما فرض الله عليه ويترك ما حرم
الله عليه ويتصرف في الولاية والمال بما يحبه ويختار من غير إثم عليـه
(وأما العبد الرسول) فلا يعطي أحدا إلا بأمر ربه ولا يعطي من يشاء
ويحرم من يشاء بل يعطي من أمره ربه باعطائه ويولي من أمره ربه بتوليته
فأعماله كلها عبادات لله تعالى كما في صحيح البخاري عن أبي هريره رضى

الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال إني والله لا أعطي احداً ولا أمنع أحداً إنما أنا قاسم أضع حيث أمرت وهذا يضيف الله الأموال الشرعية إلى الله والرسول كقوله تعالى (قل الانفال لله والرسول) وقوله تعالى (وما أفاء الله على رسوله من أهل القرى فلله وللرسول) وقوله تعالى (واعلموا أنما غنمتم من شيء فان لله خمسه وللرسول) * ولهذا كان أظهر أقوال العلماء أن هذه الاموال تصرف فيما يحبه الله ورسوله بحسب اجتهاد ولي الامر كما هو مذهب مالك وغيره من السلف * ويذكر هذا رواية عن أحمد وقد قيل في الخمس انه يقسم على خمسة كقول الشافعي وأحمد في المعروف عنه وقيل على ثلاثة كقول أبي حنيفة رحمه الله والمقصود هنا أن العبد الرسول هو أفضل من النبي الملك كما أن إبراهيم وموسى وعيسى ومحمداً عليهم الصلاة والسلام أفضل من يوسف وداود وسليمان عليهم السلام كما أن المقربين السابقين أفضل من الأبرار أصحاب اليمين الذين ليسوا مقربين سابقين فمن أدى ما أوجب الله عليه وفعل من المباحات مايحبه فهو من هؤلاء ومن كان إنما يفعل ما يحبه الله ويرضاه ويقصد أن يستعين بما أبيح له على ما أمره الله فهو من أولئك

فصل

وقد ذكر الله تعالى أولياءه المقتصدين والسابقين في سورة فاطر في قوله تعالى (ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات باذن الله ذلك هو الفضل الكبير جنات عدن يدخلونها يحلون فيها من أساور من ذهب ولؤلؤا ولباسهم فيها حرير وقالوا الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن إن ربنا لغفور شكور

الذي أحلنا دار المقامة من فضله لايمسنا فيها نصب ولايمسنا فيها لغوب) لكن هذه الأصناف الثلاثة في هذه الآية هم أمة محمد صلى الله عليه وسلم خاصة كما قال تعالى (ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات باذن الله ذلك هو الفضل الكبير) وأمة محمد صلى الله عليه وسلم هم الذين أورثوا الكتاب بعد الأمم المتقدمة وليس ذلك مختصاً بحفاظ القرآن بل كل من آمن بالقرآن فهو من هؤلاء وقسمهم إلى ظالم لنفسه ومقتصد وسابق بخلاف الآيات التي في الواقعة والمطففين والانفطار فانه دخل فيها جميع الأمم المتقدمة كافرهم ومؤمنهم وهذا التقسيم لأمة محمد صلى الله عليه وسلم فالظالم لنفسه أصحاب الذنوب المصرون عليها ومن تاب من ذنبه أي ذنب كان توبة صحيحة لم يخرج بذلك عن السابقين والمقتصد المؤدي للفرائض المجتنب للمحارم والسابق للخيرات هو المؤدي للفرائض والنوافل كما في تلك الآيات ومن تاب من ذنبه أي ذنب كان توبة صحيحة لم يخرج بذلك عن السابقين والمقتصدين كما في قوله تعالى (وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين الذين ينفقون في السراء والضراء والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفر الذنوب إلا الله ولم يصروا على مافعلوا وهم يعلمون أولئك جزاؤهم مغفرة من ربهم وجنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ونعم أجر العاملين) والمقتصد المؤدي للفرائض المجتنب للمحارم والسابق بالخيرات هو المؤدي للفرائض والنوافل كما في تلك الآيات وقوله (جنات عدن يدخلونها) مما يستدل به أهل السنة على أنه لايخلد في النار أحد من أهل التوحيد

(وأما دخول كثير من أهل الكبائر النار) فهذا مما تواترت به السنن عن النبي صلى الله عليه وسلم كما تواترت بخروجهم من النار وشفاعة نبينا محمد صلى الله علية وسلم في أهل الكبائر وإخراج من يخرج من النار بشفاعة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وشفاعة غيره فمن قال إن أهل الكبائر مخلدون في النار وتأول الآية على أن السابقين هم الذين يدخلونها وأن المقتصد أو الظالم لنفسه لا يدخلها كما تأوله من المعتزلة فهو مقابل بتأويل المرجئة الذين لا يقطعون بدخول أحد من أهل الكبائر النار ويزعمون أن أهل الكبائر قد يدخل جميعهم الجنة من غير عذاب وكلاهما مخالف للسنة المتواترة عن النبي صلى الله عليه وسلم ولاجماع سلف الامة وأئمتها وقد دل على فساد قول الطائفتين قول الله تعالى في آيتين من كتابه وهو قوله تعالى (إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء) فاخبر تعالى أنه لا يغفر الشرك وأخبر أنه يغفر ما دونه لمن يشاء ولا يجوز أن يراد بذلك التائب كما يقوله من يقوله من المعتزلة لان الشرك يغفره الله لمن تاب وما دون الشرك يغفره الله أيضاً للتائب فلا تعلق بالمشيئة ولهذا لما ذكر المغفرة للتائبين قال تعالى (قل ياعبادى الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعا إنه هو الغفور الرحيم) فهنا عمم المغفرة وأطلقها فان الله يغفر للعبد أي ذنب تاب منه فمن تاب من الشرك غفر الله له ومن تاب من الكبائر غفر الله له وأي ذنب تاب العبد منه غفر الله له ففي آية التوبة عمم وأطلق وفي تلك الآية خصص وعلق فخص الشرك بانه لا يغفره وعلق ما سواه على المشيئة ومن الشرك التعطيل للخالق وهذا يدل على فساد قول من يجزم بالمغفرة لكل مذنب ونبه بالشرك على ما هو أعظم منه كتعطيل الخالق أو يجوز ان لا يعذب

بذنب فانه لو كان كذلك لما ذكر أنه يغفر البعض دون البعض ولو كان كل ظالم لنفسه مغفورا له بلا توبة ولا حسنات ماحية لم يعلق ذلك بالمشيئة *وقوله تعالى (ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء) دليل على أنه يغفر البعض دون البعض فبطل النفي والوقف العام

فصل

واذا كان أولياء الله عز وجل هم المؤمنون المتقون والناس يتفاضلون في الايمان والتقوى فهم متفاضلون في ولاية الله بحسب ذلك كما انهم لما كانوا متفاضلين في الكفر والنفاق كانوا متفاضلين في عداوة الله بحسب ذلك وأصل الايمان والتقوى الايمان برسل الله وجماع ذلك الايمان بخاتم الرسل محمد صلى الله عليه وسلم فالايمان به يتضمن الايمان بجميع كتب الله ورسله وأصل الكفر والنفاق هو الكفر بالرسل وبما جاؤا به فان هذا هو الكفر الذي يستحق صاحبه العذاب في الآخرة فان الله تعالى أخبر في كتابه انه لا يعذب أحدا إلا بعد بلوغ الرسالة قال الله تعالى (وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا) وقال تعالى (إنا أوحينا اليك كما أوحينا إلى نوح والنبيين من بعده وأوحينا إلى إبراهيم وإسمعيل وإسحق ويعقوب والاسباط وعيسى وأيوب ويونس وهرون وسليمان وآتينا داود زبورا ورسلا قد قصصناهم عليك من قبل ورسلا لم نقصصهم عليك وكلم الله موسى تكليما رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل) وقال تعالى عن أهل النار (كلما ألقى فيها فوج سألهم خزنتها ألم يأتكم نذير قالوا بلى قد جاءنا نذير فكذبنا وقلنا ما نزل الله من شيء ان أنتم إلا في ضلال كبير) فأخبر أنه كلما ألقى في النار فوج أقروا

بأنهم جاءهم النذير فكذبوه فدل ذلك على أنه لا يلقى فيها فوج إلا من كذب النذير وقال تعالى في خطابه لابليس (لاملأن جهنم منك وممن تبعك منهم أجمعين) فاخبر انه يملؤها بابليس ومن اتبعه فاذا ملئت بهم لم يدخلها غيرهم فعلم أنه لايدخل النار إلا من تبع الشيطان وهـذا يدل على أنه لايدخلها من لاذنب له فانه ممن لم يتبع الشيطان ولم يكن مذنباً وماتقدم يدل على أنه لايدخلها إلا من قامت عليه الحجة بالرسل

فصل

ومن الناس من يؤمن بالرسل إيمانا مجملا وأما الايمان المفصل فيكون قد بلغه كثير مما جاءت به الرسل ولم يبلغه بعض ذلك فيؤمن بما بلغه عن الرسل ومالم يبلغه لم يعرفه ولو بلغه لآمن به ولكن آمن بما جاءت به الرسل إيمانا مجملا فهذا إذا عمل بما علم أن الله أمره به مع إيمانه وتقواه فهو من أولياء الله تعالى له من ولاية الله بحسب ايمانه وتقواه ومالم تقم عليه الحجة فان الله تعالى لم يكلفه معرفته والايمان المفصل به فلا يعذبه على تركه لكن يفوته من كمال ولاية الله بحسب مافاته من ذلك فمن علم بما جاء به الرسل وآمن به إيمانا مفصلا وعمل به فهو أكمل إيمانا وولاية لله ممن لم يعلم ذلك مفصلا ولم يعمل به وكلاهما ولي لله تعالى والجنة درجات متفاضلة تفاضلا عظيما وأولياء الله المؤمنون المتقون في تلك الدرجات بحسب إيمانهم وتقواهم قال الله تبارك وتعالى (من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد ثم جعلنا له جهنم يصلاها مذموماً مدحورا ومن أراد الآخرة وسعى لها سعيها وهو مؤمن فأولئك كان سعيهم مشكورا كلا نمد هؤلاء وهؤلاء من عطاء ربك وما كان عطاء

ربك محظورا انظر كيف فضلنا بعضهم على بعض وللآخرة أكبر درجات وأكبر تفضيلا) فبين الله سبحانه وتعالى أنه يمد من يريد الدنيا ومن يريد الآخرة من عطائه وان عطاءه ماكان محظوراً من بر ولا فاجر ثم قال تعالى (انظر كيف فضلنا بعضهم على بعض وللآخرة أكبر درجات وأكبر تفضيلا) فبين الله سبحانه أن أهل الآخرة يتفاضلون فيها أكثر مما يتفاضل الناس في الدنيا وأن درجاتها أكبر من درجات الدنيا وقد بين تفاضل أنبيائه عليهم السلام كتفاضل سائر عباده المؤمنين فقال تعالى (تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض منهم من كلم الله ورفع بعضهم درجات وآتينا عيسى بن مريم البينات وأيدناه بروح القدس) وقال تعالى (ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض وآتينا داود زبورا) (وفي صحيح مسلم) عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف وفي كل خير إحرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز وإن أصابك شيء فلا تقل لو اني فعلت لكان كذا وكذا ولكن قل قدر الله وما شاء فعل فان لو تفتح عمل الشيطان (وفي الصحيحين) عن أبي هريرة وعمرو بن العاص رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال إذا اجتهد الحاكم فأصاب فله أجران وإذا اجتهد فاخطأ فله أجر وقد قال الله تعالى (لا يستوى منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل أولئك أعظم درجة من الذين أنفقوا من بعد وقاتلوا وكلا وعد الله الحسني) وقال تعالى (لايستوى القاعدون من المؤمنين غير أولى الضرر والمجاهدون في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم فضل الله المجاهدين بأموالهم وأنفسهم على القاعدين درجة وكلا وعد الله الحسني وفضل الله المجاهدين على القاعدين أجراً عظيما

درجات منه ومغفرة ورحمة وكان الله غفوراً رحيما) وقال تعالى (أجعلتم
سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله واليوم الآخر وجاهد
فى سبيل الله لا يستوون عند الله والله لا يهـدي القوم الظالمين الذين
آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم أعظم درجة
عند الله وأولئك هم الفائزون يبشرهم ربهم برحمة منه ورضوان وجنات
لهم فيها نعيم مقيم خالدين فيها أبداً إن الله عنده أجر عظيم) وقال تعالى
(أمن هو قانت آناء الليل ساجداً وقائماً يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه
قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون إنما يتذكر أولو
الألباب) وقال تعالى (يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم
درجات والله بما تعملون خبير)

فصل

وإذا كان العبد لا يكون ولياً لله الا اذا كان مؤمناً تقياً لقوله تعالى
(ألا ان أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون الذين آمنوا وكانوا يتقون)
(وفي صحيح البخاري الحديث المشهور وقد تقدم) يقول الله تبارك وتعالى
فيه ولا يزال عبدي يتقرب الى بالنوافل حتي أحبه ولا يكون مؤمناً تقياً
حتي يتقرب الى الله بالفرائض فيكون من الأبرار أهل اليمين ثم بعد ذلك
لا يزال يتقرب بالنوافل حتي يكون من السابقين المقربين فمعلوم ان أحداً
من الكفار والمنافقين لا يكون ولياً لله وكذلك من لا يصح إيمانه وعباداته
وإن قدر انه لا إثم عليه مثل أطفال الكفار ومن لم تبلغه الدعوة وإن
قيل إنهم لا يعذبون حتي يرسل اليهم رسول فلا يكونون من أولياء الله
إلا اذا كانوا من المؤمنين المتقين فمن يتقرب إلى الله لا بفعل الحسنات

ولا بترك السيئات لم يكن من أولياء الله وكذلك المجانين والاطفال فان
النبي صلى الله عليه وسلم قال يرفع القلم عن ثلاثة عن المجنون حتي يفيق
وعن الصبي حتي يحتلم وعن النائم حتي يستيقظ وهذا الحديث قد رواه
أهل السنن من حديث على وعائشة رضي الله عنهما واتفق أهل المعرفة
على تلقيه بالقبول لكن الصبي المميز تصح عباداته ويثاب عليها عند جمهور
العلماء وأما المجنون الذي رفع عنه القلم فلا تصح شئ من عباداته باتفاق
العلماء ولا يصح منه إيمان ولا كفر ولا صلاة ولا غير ذلك من العبادات
بل لا يصلح هو عند عامة العقلاء لأمور الدنيا كالتجارة والصناعة فلا
يصلح أن يكون بزازاً ولا عطاراً ولا حداداً ولا نجاراً ولا تصح عقوده
باتفاق العلماء فلا يصح بيعه ولا شراؤه ولا نكاحه ولا طلاقه ولا اقراره
ولا شهادته ولا غير ذلك من أقواله بل أقواله كلها لغو لا يتعلق بها
حكم شرعى ولا ثواب ولا عقاب بخلاف الصبي المميز فان له أقوالا
معتبرة في مواضع بالنص والاجماع وفي مواضع فيها نزاع وإذا
كان المجنون لا يصح منه الايمان ولا التقوى ولا التقرب الى الله بالفرائض
والنوافل وامتنع ان يكون ولياً لله فلا يجوز لأحد أن يعتقد أنه ولي لله لاسيما أن
تكون حجته على ذلك إما مكاشفة سمعها منه أو نوع من تصرف مثل أن يراه
قد أشار الى واحد فمات أو صرع فانه قد علم ان الكفار والمنافقين من المشركين
وأهل الكتاب لهم مكاشفات وتصرفات شيطانية كالكهان والسحرة وعباد
المشركين وأهل الكتاب فلا يجوز لأحد أن يستدل بمجرد ذلك على كون
الشخص ولياً لله وإن لم يعلم منه ما يناقض ولاية الله فكيف اذا علم منه ما يناقض
ولاية الله مثل أن يعلم أنه لا يعتقد وجوب اتباع النبي صلى الله عليه وسلم باطناً
وظاهراً بل يعتقد أنه يتبع الشرع الظاهر دون الحقيقة الباطنة أو يعتقد أن

لاولياء الله طريقاً إلى الله غير طريق الانبياء عليهم الصلاة والسلام أو يقول ان الانبياء ضيقوا الطريق أو هم على قدوة العامة دون الخاصة ونحو ذلك مما يقوله بعض من يدعي الولاية فهؤلاء فيهم من الكفر مايناقض الايمان فضلا عن ولاية الله عز وجل فمن احتج بما يصدر عن أحدهم من خرق عادة على ولايتهم كان أضل من اليهود والنصارى وكذلك المجنون فان كونه مجنونا يناقض أن يصح منه الايمان والعبادات التي هي شرط في ولاية الله ومن كان يجن أحيانا ويفيق أحيانا إذا كان في حال افاقته مؤمناً بالله ورسوله ويؤدى الفرائض ويجتنب المحارم فهذا اذا جن لم يكن جنونه مانعاً من أن يثيبه الله على إيمانه وتقواه الذي أتي به فى حال إفاقته ويكون له من ولاية الله بحسب ذلك وكذلك من طرأ عليه الجنون بعد إيمانه وتقواه فان الله يثيبه ويأجره على ماتقدم من إيمانه وتقواه ولا يحبطه بالجنون الذي ابتلي به من غير ذنب فعله والقلم مرفوع عنه في حال جنونه فعلى هذا فمن أظهر الولاية وهو لا يؤدي الفرائض ولا يجتنب المحارم بل قد يأتي بما يناقض ذلك لم يكن لأحد أن يقول هذا ولى لله فان هذا ان لم يكن مجنونا بل كان متولها من غير جنون أو كان يغيب عقله بالجنون تارة ويفيق أخري وهو لا يقوم بالفرائض بل يعتقد انه لايجب عليه اتباع الرسول صلى الله عليه وسلم فهو كافر وان كان مجنونا باطناً وظاهرا قد ارتفع عنه القلم فهذا وان لم يكن معاقباً عقوبة الكافرين فليس هو مستحقاً لما يستحقه أهل الايمان والتقوي من كرامة الله عز وجل فلا يجوز على التقديرين أن يعتقد فيه أحد انه ولى لله ولكن إن كان له حالة في إفاقته كان فيها مؤمناً بالله متقياً كان له من ولاية الله بحسب ذلك وإن كان له في حال إفاقته فيه كفر أو نفاق أو كان كافرا أو منافقاً ثم طرأ

عليه الجنون فهذا فيه من الكفر والنفاق مايعاقب عليه وجنونه لا يحبط عنه ما يحصل منه حال إفاقته من كفر أو نفاق

فصل

وليس لأولياء الله شئ يتميزون به عن الناس في الظاهر من الامور والمباحات فلا يتميزون بلباس دون لباس اذا كان كلاهما مباحا ولا بحلق شعر أو تقصيره أو ظفره اذا كان مباحا كما قيل كم من صديق في قباء وكم من زنديق في عباء بل يوجدون في جميع أصناف أمة محمد صلى الله عليه وسلم إذا لم يكونوا من أهل البدع الظاهرة والفجور فيوجدون في أهل القرآن وأهل العلم ويوجدون في أهل الجهاد والسيف ويوجدون في التجار والصناع والزراع وقد ذكر الله أصناف أمة محمد صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى (إن ربك يعلم أنك تقوم أدني من ثلثي الليل ونصفه وثلثه وطائفة من الذين معك والله يقدر الليل والنهار علم أن لن تحصوه فتاب عليكم فاقرؤا ماتيسر من القرآن علم أن سيكون منكم مرضي وآخرون يضربون في الارض يبتغون من فضل الله وآخرن يقاتلون في سبيل الله فاقرؤا ماتيسر منه) وكان السلف يسمون أهل الدين والعلم القراء فيدخل فيهم العلماء والنساك ثم حدث بعد ذلك اسم الصوفية والفقراء واسم الصوفية هو نسبة الى لباس الصوف هذا هو الصحيح وقد قيل إنه نسبة إلى صفوة الفقهاء وقيل إلى صوفة بن أد بن طابخة قبيلة من العرب كانوا يعرفون بالنسك وقيل إلى أهل الصفة وقيل إلى الصفا وقيل إلى الصفوة وقيل إلى الصف المقدم بين يدي الله تعالى وهذه أقوال ضعيفة فانه لو كان كذلك لقيل صفي أو صفائي أو صفوي أو صفى ولم يقل صوفي وصار أيضاً إسم

الفقراء يعني به أهل السلوك وهذا عرف حادث وقد تنازع الناس أيما أفضل مسمي الصوفي أو مسمي الفقير ويتنازعون أيضاً أيما أفضل الغني الشاكر أو الفقير الصابر وهذه المسئلة فيها نزاع قديم بين الجنيد وبين أبي العباس ابن عطاء وقد روي عن أحمد بن حنبل فيها روايتان والصواب في هذا كله ماقاله الله تبارك وتعالى حيث قال (يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثي وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم) (وفي الصحيح) عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه سئل أي الناس أفضل قال أتقاهم قيل له ليس عن هذا نسألك فقال يوسف نبي الله ابن يعقوب نبي الله ابن اسحق نبي الله ابن ابراهيم خليل الله فقيل له ليس عن هذا نسألك فقال عن معادن العرب تسألوني الناس معادن كمعادن الذهب والفضة خيارهم في الجاهلية خيارهم في الاسلام اذا فقهوا فدل الكتاب والسنة أن أكرم الناس عند الله أتقاهم (وفي السنن) عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال لافضل لعربي على عجمي ولا لعجمي على عربي ولا لأسود على أبيض ولا لأبيض على أسود الا بالتقوي من لآدم وآدم من تراب (وعنه أيضا) صلى الله عليه وسلم أنه قال إن الله تعالى أذهب عنكم عتبية الجاهلية وفخرها بالآباء الناس رجلان مؤمن تقي وفاجر شقي فمن كان من هذه الاصناف أتقى لله فهو أكرم عند الله وإذا استويا في التقوي استويا في الدرجة ولفظ الفقر في الشرع يراد به الفقر من المال ويراد به فقر المخلوق إلى خالقه كما قال تعالى (انما الصدقات للفقراء والمساكين) وقال تعالى (يا أيها الناس أنتم الفقراء إلى الله) وقد مدح الله تعالى في القرآن صنفين من الفقراء أهل الصدقات وأهل الفيء فقال في الصنف الأول (للفقراء الذين أحصروا في سبيل الله لا يستطيعون ضرباً في الأرض يحسبهم

الجاهل أغنياء من التعفف تعرفهم بسيماهم لا يسألون الناس إلحافا) وقال في الصنف الثاني وهم أفضل الصنفين (للفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلا من الله ورضوانا وينصرون الله ورسوله أولئك هم الصادقون) وهذه صفة المهاجرين الذين هجروا السيئات وجاهدوا أعداء الله باطناً وظاهراً كما قال النبي صلى الله عليه وسلم المؤمن من أمنه الناس على دمائهم وأموالهم والمسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده والمهاجر من هجر مانهي الله عنه والمجاهد من جاهد نفسه في ذات الله (وأما) الحديث الذي يرويه بعضهم أنه قال في غزوة تبوك رجعنا من الجهاد الاصغر الى الجهاد الاكبر فلا أصل له ولم يروه أحد من أهل المعرفة بأقوال النبي صلى الله عليه وسلم وأفعاله وجهاد الكفار من أعظم الاعمال بل هو أفضل ماتطوع به الانسان قال الله تعالى (لا يستوي القاعدون من المؤمنين غير أولى الضرر والمجاهدون في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم فضل الله المجاهدين بأموالهم وأنفسهم على القاعدين درجة وكلا وعد الله الحسني وفضل الله المجاهدين على القاعدين أجراً عظيما) وقال تعالى (أجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله واليوم الآخر وجاهد في سبيل الله لا يستوون عند الله والله لا يهدي القوم الظالمين الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم أعظم درجة عند الله وأولئك هم الفائزون يبشرهم ربهم برحمة منه ورضوان وجنات لهم فيها نعيم مقيم خالدين فيها أبداً ان الله عنده أجر عظيم) (وثبت) في صحيح مسلم وغيره عن النعمان بن بشير رضي الله عنه قال كنت عند النبي صلى الله عليه وسلم فقال رجل ماأبالى ان لا أعمل عملا بعد الاسلام الا أن أسقي الحاج وقال آخر ماأبالى ان أعمل عملا بعد

الاسـلام إلا أن أعمر المسجد الحرام وقال على بن أبي طالب الجهاد في سبيل الله أفضل مما ذكرتما فقال عمر لاترفعوا أصواتكم عند منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكن اذا قضيت الصلاة سألته فسأله فانزل الله تعالى هذه الآية (وفي الصحيحين) عن عبدالله بن مسعود رضى الله عنه قال قلت يارسول الله أي الاعمال أفضل الى الله عزوجل قال الصلاة على وقتها قلت ثم أي قال بر الوالدين قلت ثم أي قال الجهاد في سبيل الله قال حدثنى بهن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولو استزدته لزادني (وفي الصحيحين) عنه صلى الله عليه وسلم انه سئل أي الاعمال أفضـل قال الايمان بالله وجهاد فى سبيله قيل ثم ماذا قال حج مبرور (وفى الصحيحين) أن رجلا قال له صلى الله عليه وسلم يارسول الله اخبرني بعمل يعدل الجهاد في سبيل الله قال لاتستطيعه أولا تطيقه قال فأخبرني به قال هل تستطيع إذا خرجت مجاهدا ان تصوم ولا تفطر وتقوم ولا تفتر (وفي السنن) عن معاذ رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه وصاه لما بعثه الى اليمن فقال يامعاذ إتق الله حيثما كنت وأتبع السيئة الحسنة تمحها وخالق الناس بخلق حسن وقال يامعاذ اني لاحبك فلا تدع ان تقول فى دبر كل صلاة اللهم أعنى على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك وقال له وهو رديفه يامعاذ أتدرى ماحق الله على عباده قات الله ورسوله أعلم قال حقه عليهـم ان يعبدوه ولا يشركوا به شيأ أتدرى ماحق العباد على الله اذا فعلوا ذلك قلت الله ورسوله أعلم قال حقهم عليه أن لايعذبهم (وقال ايضاً لمعاذ) رأس الامر الاسلام وعموده الصلاة وذروة سـنامه الجهاد في سبيل الله (وقال يامعاذ) ألا أخبرك بأبواب البر الصوم جنة والصدقة تطفيء الخطيئة كما يطفيء الماء النار وقيام

الرجل في جوف الليل ثم قرأ (تتجافي جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفا وطمعاً ومما رزقناهم ينفقون فلا تعلم نفس ماأخفي لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون) (ثم قال يامعاذ) ألا أخبرك بما هو أملك لك من ذلك فقال إمسك عليك لسانك هذا فأخذ بلسانه قال يارسول الله وإنا لمؤاخذون بما نتكلم به فقال ثكلتك أمك يامعاذ وهل يكب الناس في النار على مناخرهم إلا حصائد ألسنتهم (وتفسير هذا) ماثبت في الصحيحين عنه صلي الله عليه وسلم أنه قال من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أوليصمت فالتكلم بالخير خير من السكوت عنه والصمت عن الشر خير من التكلم به فأما الصمت الدائم فبدعة منهي عنها وكذلك الامتناع عن أكل الخبز واللحم وشرب الماء فذلك من البدع المذمومة أيضاً كما ثبت في صحيح البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم رأى رجلا قائماً في الشمس فقال ماهذا فقالوا أبو اسرائيل نذر أن يقوم في الشمس ولا يستظل ولا يتكلم ويصوم فقال النبي صلى الله عليه وسلم مروه فليجلس وليستظل وليتكلم وليتم صومه * وثبت في الصحيحين عن أنس ان رجالا سألوا عن عبادة رسول الله صلى الله عليـه وسلم فكأنهم تقالوها فقالوا وأينا مثل رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال أحدهم أما أنا فأصوم لا أفطر وقال الآخر أما أنا فأقوم فلا أنام وقال الآخر أما أنا فلا آكل اللحم وقال الآخر أما أنا فـلا أتزوج النساء فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما بال رجال يقول أحدهم كذا وكذا ولكنى أصوم وأفطر وأقوم وأنام وآكل اللحم وأتزوج النساء فمن رغب عن سنتي فليس مني أي سلك غيرها ظانا أن غيرها خير منها فمن كان كذلك فهو بريء من الله ورسوله قال تعالى (ومن يرغب عن ملة إبراهيم

إلا من سفه نفسه) بل يجب على كل مسلم أن يعتقد أن خير الكلام كلام الله وخير الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم كما ثبت عنه فى الصحيح انه كان يخطب بذلك كل يوم جمعة

فصل

وليس من شرط ولى الله أن يكون معصوماً لا يغلط ولا يخطأ بل يجوز أن يخفى عليه بعض علم الشريعة ويجوز أن يشتبه عليه بعض أمور الدين حتى يحسب بعض الأمور مما أمر الله به ومما نهى الله عنه ويجوز أن يظن في بعض الخوارق أنها من كرامات أولياء الله تعالى وتكون من الشيطان لبسها عليه لنقص درجته ولا يعرف أنها من الشيطان وإن لم يخرج بذلك عن ولاية الله تعالى فان الله سبحانه وتعالى تجاوز لهذه الأمة عن الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه فقال تعالى (آمن الرسول بما أنزل اليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لانفرق بين أحد من رسله وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير لايكلف الله نفساً إلا وسعها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت ربنا لاتؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا ربنا ولا تحمل علينا إصراً كما حملته على الذين من قبلنا ربنا ولا تحملنا مالاطاقة لنا به واعف عنا واغفر لنا وارحمنا أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين) (وقد ثبت في الصحيح أن الله سبحانه استجاب هذا الدعاء وقال قد فعلت ففي صحيح مسلم عن ابن عباس رضى الله عنهما قال لما نزلت هذه الآية (إن تبدوا مافي أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله فيغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء والله على كل شيء قدير) قال دخل قلوبهم منها شيء لم يدخلها قبل ذلك شيء أشد منه

فقال النبي صلى الله عليه وسلم قولوا سمعنا وأطعنا وسلمنا قال فألقى الله الايمان في قلوبهم فأنزل الله تعالى (لايكلف الله نفساً إلا وسعها) الى قوله (أو أخطأنا) قال الله قد فعلت (ربنا ولا تحمل علينا إصراً كما حملته على الذين من قبلنا) قال قد فعلت (ربنا ولا تحملنا مالاطاقة لنا به واعف عنا واغفر لنا وارحمنا أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين) قال قد فعلت وقد قال تعالى (وليس عليكم جناح فيما أخطأتم به ولكن ماتعمدت قلوبكم)

* (وثبت في الصحيحين) عن النبي صلى الله عليه وسلم من حديث أبي هريرة وعمرو بن العاص رضى الله عنهما مرفوعا أنه قال إذا اجتهد الحاكم فأصاب فله أجران وإن أخطأ فله أجر فلم يؤثم المجتهد المخطىء بل جعل له أجراً على اجتهاده وجعل خطأه مغفوراً له ولكن المجتهد المصيب له أجران فهو أفضل منه ولهذا لما كان ولي الله يجوز ان يغلط لم يجب على الناس الايمان بجميع مايقوله من هو ولي لله إلا أن يكون نبياً بل ولا يجوز لولي الله أن يعتمد على مايلقى اليه في قلبه إلا أن يكون موافقاً وعلى مايقع له مما يراه إلهاما ومحادثة وخطابا من الحق بل يجب عليه ان يعرض ذلك جميعه على ماجاء به محمد صلى الله عليه وسلم فان وافقه قبله وإن خالفه لم يقبله وإن لم يعلم أموافق هو أم مخالف توقف فيه والناس في هذا الباب ثلاثة أصناف طرفان ووسط فمنهم من اذا اعتقد في شخص انه ولي لله وافقه في كل مايظن أنه حدثه به قلبه عن ربه وسلم اليه جميع مايفعله ومنهم من إذا رآه قد قال أوفعل ماليس بموافق للشرع أخرجه عن ولاية الله بالكلية وإن كان مجتهداً مخطئاً وخيار الامور أوساطها وهو أن لايجعل معصوما ولا مأثوما إذا كان مجتهداً مخطئاً فلايتبع فى كل مايقوله ولا يحكم عليه بالكفر والفسق مع اجتهاده والواجب على الناس

إتباع مابعث الله به رسوله وأما اذا خالف قول بعض الفقهاء ووافق قول آخرين لم يكن لأحد ان يلزمه بقول المخالف ويقول هذا خالف الشرع * (وقد ثبت فى الصحيحين) عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال قدكان في الأمم قبلكم محدثون فان يكن في أمتي أحد فعمر منهم (وروى الترمذى وغيره) عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال لو لم أبعث فيكم لبعث فيكم عمر (وفي حديث آخر) إن الله ضرب الحق على لسان عمر وقلبه (وفيه) لوكان نبي بعدي لكان عمر وكان علي بن أبي طالب رضى الله عنه يقول ماكنا نبعد أن السكينة تنطق على لسان عمر ثبت هذا عنه من رواية الشعبي وقال ابن عمر ماكان عمر يقول في شيء إني لأراه كذا إلا كان كما يقول وعن قيس بن طارق قال كنا نتحدث أن عمر ينطق على لسانه ملك وكان عمر يقول إقتربوا من أفواه المطيعين واسمعوا منهم مايقولون فانه تجلى لهم أمور صادقة وهذه الامور الصادقة التي أخبر بها عمر بن الخطاب رضى الله عنه أنها تجلى للمطيعين هي الامور التي يكشفها الله عزوجل لهم فقد ثبت أن لأولياء الله مخاطبات ومكاشفات وأفضل هؤلاء في هذه الامة بعد أبي بكر عمر بن الخطاب رضى الله عنهما فان خير هذه الامة بعد نبيها أبوبكر ثم عمر * (وقد ثبت في الصحيح) تعيين عمر بانه محدث في هذه الامة فأي محدث ومخاطب فرض في أمة محمد صلى الله عليه وسلم فعمر أفضل منه ومع هذا فكان عمر رضى الله عنه يفعل ماهو الواجب عليه فيعرض مايقع له على ماجاء به الرسول صلى الله عليه وسلم فتارة يوافقه فيكون ذلك من فضائل عمر كما نزل القرآن بموافقته غير مرة ووافق ربه غير مرة وتارة يخالفه فيرجع عمر عن ذلك كما رجع يوم الحديبية لما كان قد رأي محاربة

المشركين والحديث معروف في البخاري وغيره فان النبي صلى الله عليه وسلم قد اعتمر سنة ست من الهجرة ومعه المسلمون نحو ألف وأربعمائة وهم الذين بايعوه تحت الشجرة وكان قد صالح المشركين بعد مراجعة جرت بينه وبينهم على أن يرجع في ذلك العام ويعتمر من العام القابل وشرط لهم شروطاً فيها نوع غضاضة على المسلمين في الظاهر فشق ذلك على كثير من المسلمين وكان الله ورسوله أعلم وأحكم بما في ذلك من المصلحة وكان عمر فيمن كره ذلك حتى قال للنبي صلى الله عليه وسلم يارسول الله ألسنا على الحق وعدونا على الباطل قال بلى قال أفليس قتلانا في الجنة وقتلاهم في النار قال بلى قال فعلام نعطي الدنية في ديننا فقال له النبي صلى الله عليه وسلم إني رسول الله وهو ناصري ولست أعصيه ثم قال أفلم تكن تحدثنا أنا نأتي البيت ونطوف به قال بلى قال أفقلت لك إنك تأتيه العام قال لا قال إنك آتيه ومطوف به فذهب عمر إلى أبي بكر رضى الله عنهما فقال له مثل ماقال للنبي صلى الله عليه وسلم ورد عليه أبو بكر مثل جواب النبي صلى الله عليه وسلم ولم يكن أبو بكر يسمع جواب النبي صلى الله عابه وسلم فكان أبو بكر رضى الله عنه أكمل موافقة لله وللنبي صلى الله عليه وسلم من عمر وعمر رضى الله عنه رجع عن ذلك وقال فعملت لذلك أعمالا وكذلك لما مات النبي صلى الله عليه وسلم أنكر عمر موته أولا فلما قال أبو بكر إنه مات رجع عمر عن ذلك وكذلك في قتال مانعي الزكاة قال عمر لأبي بكر كيف نقاتل الناس وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لااله الا الله وأني رسول الله فاذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها فقال له أبو بكر رضى الله عنه

أم يقل إلا بحقها فان الزكاة من حقها والله لو منعوني عناقا كانوا يؤدونها
إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم لقاتلتهم على منعها قال عمر فوالله
ماهو إلا أن رأيت الله قد شرح صدر أبي بكر للقتال فعلمت أنه الحق
ولهذا نظائر تبين تقدم أبي بكر على عمر مع أن عمر رضى الله عنه محدث
فان مرتبة الصديق فوق مرتبة المحدث لان الصديق يتلقى عن الرسول
المعصوم كما يقوله ويفعله والمحدث يأخذ عن قلبه أشياء وقلبه ليس
بمعصوم فيحتاج أن يعرضه على ماجاء به النبي المعصوم صلى الله عليه
وسلم ولهذا كان عمر رضى الله عنه يشاور الصحابة رضي الله عنهم
ويناظرهم ويرجع اليهم في بعض الامور وينازعونه في أشياء فيحتج عليهم
ويحتجون عليه بالكتاب والسنة ويقررهم على منازعته ولايقول لهم أنا
محدث ملهم مخاطب فينبغي لكم أن تقبلوا مني ولا تعارضونى فاي من
ادعي أو ادعي له أصحابه أنه ولى لله وانه مخاطب يجب على أتباعه أن يقبلوا
منه كما يقوله ولا يعارضوه ويسلموا له حاله من غير اعتبار بالكتاب
والسنة فهو وهم مخطؤن ومثل هذا من أضل الناس فعمر بن الخطاب
رضى الله عنه أفضل منه وهو أمير المؤمنين وكان المسلمون ينازعونه
فيما يقوله وهو وهم على الكتاب والسنة وقد اتفق سلف الامة وأئمتها على
ان كل أحد يؤخذ من قوله ويترك إلا رسول الله صلى الله عليه وسلم
وهذا من الفروق بين الأنبياء وغيرهم فان الانبياء صلوات الله عليهم
وسلامه يجب لهم الايمان بجميع مايخبرون به عن الله عزوجل وتجب
طاعتهم فيما يأمرون به بخلاف الاولياء فانهم لاتجب طاعتهم في كل يأمرون
به ولا الايمان بجميع مايخبرون به بل يعرض أمرهم وخبرهم على الكتاب
والسنة فما وافق الكتاب والسنة وجب قبوله وماخالف الكتاب والسنة

كان مردودا وإن كان صاحبه من أولياء الله وكان مجتهدا معذورا فيما قاله
له أجر على اجتهاده لكنه اذا خالف الكتاب والسنة كان مخطئاً وكان من
الخطأ المغفور إذا كان صاحبه قد اتقى الله ما استطاع فان الله تعالى يقول
(فاتقوا الله مااستطعتم) وهذا تفسير قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله
حق تقاته) قال ابن مسعود وغيره حق تقاته أن يطاع فلا يعصي وأن
يذكر فلاينسي وأن يشكر فلايكفر أي بحسب استطاعتكم فان الله تعالى
لايكلف نفساً إلاوسعها كما قال تعالى (لايكلف الله نفساً إلا وسعها لها
ما كسبت وعليها ما اكتسبت) وقال تعالى (والذين آمنوا وعملوا
الصالحات لانكلف نفساً الا وسعها أولئك أصحاب الجنة هم خالدون)
وقال تعالى (وأوفوا الكيل والميزان بالقسط لانكلف نفسا إلا وسعها)
وقد ذكر الله سبحانه وتعالى الايمان بماجاءت به الانبياء في غير موضع
كقوله تعالى (قولوا آمنا بالله وما أنزل الينا وماأنزل الى ابراهيم واسمعيل
واسحق ويعقوب والأسباط وماأوتي موسي وعيسي وماأتي النبيون من
ربهم لانفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون)وقال تعالى (الم ذلك
الكتاب لاريب فيه هدى للمتقين الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة
ومما رزقناهم ينفقون والذين يؤمنون بما أنزل اليك وما أنزل من قبلك
وبالآخرة هم يوقنون أولئك على هدي من ربهم وأولئك هم المفلحون)
وقال تعالى (ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب
ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين وآتي
المال على حبه ذوي القربي واليتامي والمساكين وابن السبيل والسائلين
وفي الرقاب وأقام الصلاة وآتي الزكاة والموفون بعهدهم اذا عاهدوا
والصابرين في البأساء والضراء وحين البأس أولئك الذين صدقوا

وأولئك هم المتقون) وهذا الذي ذكرته من ان أولياء الله يجب عليهم الاعتصام بالكتاب والسنة وانه ليس فيهم معصوم يسوغ له أو لغيره اتباع مايقع في قلبه من غير اعتبار بالكتاب والسنة وهو مما اتفق عليه أولياء الله عزوجل من خالف في هذا فليس من أولياء الله سبحانه الذين أمر الله باتباعهم بل اما ان يكون كافرا واما أن يكون مفرطا في الجهل وهذا كثير في كلام المشايخ كقول الشيخ أبي سليمان الداراني انه ليقع في قلبي النكتة من نكت القوم فلا اقبلها الا بشاهدين الكتاب والسنة (وقال ابوالقاسم الجنيد رحمة الله عليه) علمنا هذا مقيد بالكتاب والسنة فمن لم يقرأ القرآن ويكتب الحديث لايصلح له أن يتكلم في علمنا أو قال لايقتدي به (وقال ابوعثمان النيسابوري) من امر السنة على نفسه قولا وفعلا نطق بالحكمة ومن امر الهوى على نفسه قولا وفعلا نطق بالبدعة لان الله تعالى يقول في كلامه القديم (وان تطيعوا تهتدوا) (وقال ابو عمرو ابن نجيد) كل وجد لايشهد له الكتاب والسنة فهو باطل وكثير من الناس يغلط في هذا الموضع فيظن في شخص انه ولي لله ويظن ان ولي الله يقبل منه كل مايقوله ويسلم اليه كل مايقوله ويسلم اليه كلما يفعله وان خالف الكتاب والسنة فيوافق ذلك الشخص له ويخالف مابعث الله به رسوله الذي فرض الله على جميع الخلق تصديقه فيما اخبر وطاعته فيما امر وجعله الفارق بين اوليائه وأعدائه وبين اهل الجنة واهل النار وبين السعداء والاشقياء فمن اتبعه كان من اولياء الله المتقين وجنده المفلحين وعباده الصالحين ومن لم يتبعه كان من اعداء الله الخاسرين المجرمين فتجره مخالفة الرسول وموافقة ذلك الشخص أولا الي البدعة والضلال وآخرا الى الكفر والنفاق ويكون له نصيب من قوله تعالى (ويوم

يعض الظالم على يديه يقول ياليتني اتخذت مع الرسول سبيلا ياويلتى ليتني لم أتخذ فلانا خليلا لقد أضلني عن الذكر بعد إذ جاءني وكان الشيطان للانسان خذولا) وقوله تعالى (يوم تقلب وجوههم في النار يقولون ياليتنا أطعنا الله وأطعنا الرسولا وقالوا ربنا إنا أطعنا سادتنا وكبراءنا فأضلونا السبيلا ربنا آتهم ضعفين من العذاب والعنهم لعناً كبيرا) وقوله تعالى (ومن الناس من يتخذ من دون الله أنداداً يحبونهم كحب الله والذين آمنوا أشد حباً لله ولو يرى الذين ظلموا اذ يرون العذاب أن القوة لله جميعاً وأن الله شديد العذاب اذ تبرأ الذين اتبعوا من الذين اتبعوا ورأوا العذاب وتقطعت بهم الأسباب وقال الذين اتبعوا لو أن لنا كرة فنتبرأ منهم كما تبرؤا منا كذلك يريهم الله أعمالهم حسرات عليهم وما هم بخارجين من النار) وهؤلاء مشابهون النصارى الذين قال الله تعالى فيهم (اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله والمسيح ابن مريم وما أمروا إلا ليعبدوا إلهاواحداً لاإله إلاهو سبحانه عما يشركون) (وفي المسند وصححه الترمذي) عن عدى بن حاتم في تفسيره هذه الآية لما سأل النبي صلى الله عليه وسلم عنها فقال ماعبدوهم فقال النبي صلى الله عليه وسلم أحلوا لهم الحرام وحرموا عليهم الحلال فأطاعوهم وكانت هذه عبادتهم إياهم ولهذا قيل في مثل هؤلاء إنما حرموا الوصول بتضييع الأصول فان أصل الأصول تحقيق الايمان بما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم فلا بد من الايمان بالله ورسوله وبما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم فلا بد من الايمان بأن محمداً رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى جميع الخلق إنسهم وجنهم وعربهم وعجمهم علمائهم وعبادهم ملوكهم وسوقتهم وأنه لاطريق إلى الله عز وجل لأحد من الخلق إلا بمتابعته

باطناً وظاهراً حتى لو أدركه موسى وعيسى وغيرهما من الأنبياء لوجب
عليهم اتباعه كما قال تعالى (واذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب
وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه قال أأقررتم
وأخذتم على ذلكم إصري قالوا أقررنا قال فاشهدوا وأنا معكم من
الشاهدين فمن تولى بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون) * قال ابن عباس
رضى الله عنهما (مابعث الله نبياً إلا اخذ عليه الميثاق لئن بعث محمد وهو
حي ليؤمنن به ولينصرنه وأمره أن يأخذ على أمته الميثاق لئن بعث محمد
وهم أحياء ليؤمنن به ولينصرنه وقد قال تعالى (ألم تر إلى الذين
يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك يريدون أن يتحاكموا
إلى الطاغوت وقد أمروا أن يكفروا به ويريد الشيطان أن يضلهم ضلالا
بعيدا وإذا قيل لهم تعالوا الى ما أنزل الله وإلى الرسول رأيت المنافقين
يصدون عنك صدودا فكيف إذا أصابتهم مصيبة بما قدمت أيديهم ثم
جاؤك يحلفون بالله إن أردنا إلا إحساناً وتوفيقا أولئك الذين يعلم الله
مافي قلوبهم فأعرض عنهم وعظهم وقل لهم في أنفسهم قولا بليغا وما
أرسلنا من رسول إلا ليطاع باذن الله ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاؤك
فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله تواباً رحيما فلا وربك
لايؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لايجدوا في أنفسهم حرجاً مما
قضيت ويسلموا تسليما) وكل من خالف شيأ مما جاء به الرسول مقلداً في
ذلك لمن يظن أنه ولي لله فانه بنى أمره على أنه ولي لله وأنه ولي الله
لا يخالف في شيء ولو كان هذا الرجل من أكبر أولياء الله كأكابر
الصحابة والتابعين لهم باحسان لم يقبل منه ماخالف الكتاب والسنة
فكيف إذا لم يكن كذلك وتجد كثيراً من هؤلاء عمدتهم في اعتقاد كونه

ولياً لله انه قد صدر عنه مكاشفة في بعض الامور أو بعض التصرفات الخارقة
للعادة مثل أن يشير الى شخص فيموت أو يطير في الهواء الى مكة أو
غيرها أو يمشي على الماء أحياناً أو يملأ ابريقاً من الهواء أو ينفق بعض
الاوقات من الغيب أو أن يختفي أحياناً عن أعين الناس أو أن بعض
الناس استغاث به وهو غائب أو ميت فرآه قد جاءه فقضى حاجته أو يخبر
الناس بما سرق لهم أو بحال غائب لهم أو مريض أو نحو ذلك من الأمور
وليس في شيء من هذه الامور مايدل على أن صاحبها ولي لله بل قد
اتفق أولياء الله على أن الرجل لو طار في الهواء أو مشى على الماء لم يغتر به
حتى ينظر متابعته لرسول الله صلى الله عليه وسلم وموافقته لامره ونهيه
وكرامات أولياء الله تعالى أعظم من هذه الامور وهذه الامور الخارقة
للعادة وان كان قد يكون صاحبها ولياً لله فقد يكون عدوا لله فان هذه
الخوارق تكون لكثير من الكفار والمشركين وأهل الكتاب والمنافقين
وتكون لاهل البدع وتكون من الشياطين فلا يجوز أن يظن أن كل
من كان له شيء من هذه الامور أنه ولى لله بل يعتبر أولياء الله بصفاتهم
وأفعالهم وأحوالهم التى دل عليها الكتاب والسنة ويعرفون بنور الايمان
والقرآن وبحقائق الايمان الباطنة وشرائع الاسلام الظاهرة (مثال ذلك)
أن هذه الامور المذكورة وأمثالها قد توجد في أشخاص ويكون أحدهم
لايتوضأ ولا يصلي الصلوات المكتوبة بل يكون ملابساً للنجاسات
معاشراً للكلاب يأوى إلى الحمامات والقمامين والمقابر والمزابل رائحته
خبيثة لايتطهر الطهارة الشرعية ولا يتنظف (وقد قال النبي صلى الله
عليه وسلم) لاتدخل الملائكة بيتاً فيه جنب ولا كلب (وقال عن هذه
الأخلية) إن هذه الحشوش محتضرة أي يحضرها الشيطان (وقال) من

أكل من هاتين الشجرتين الخبيثتين فلا يقربن مسجدنا فان الملائكة تتأذى مما يتأذي منه بنو آدم (وقال) إن الله طيب لايقبل إلاطيبا (وقال) إن الله نظيف يحب النظافة (وقال) خمس من الفواسق يقتلن في الحل والحرم الحية والفأرة والغراب والحدأة والكلب العقور وفي رواية الحية والعقرب وأمر صلوات الله وسلامه عليه بقتل الكلاب (وقال) من اقتني كلباً لايغني عنه زرعا ولا ضرعا نقص من عمله كل يوم قيراط (وقال) لاتصحب الملائكة رفقة معهم كلب (وقال) إذاولغ الكلب في إناء أحدكم فليغسله سبع مرات إحداهن بالتراب وقال تعالى (ورحمتي وسعت كل شيء فسأكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة والذين هم بآياتنا يؤمنون الذين يتبعون الرسول النبي الأمي الذي يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة والانجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم إصرهم والأغلال التى كانت عليهم فالذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذي أنزل معه أولئك هم المفلحون) * فاذا كان الشخص مباشرا للنجاسات والخبائث التى يحبها الشيطان أو يأوي الى الحمامات والحشوش التي تحضرها الشياطين أو يأكل الحيات والعقارب والزنابير وآذان الكلاب التي هي خبائث وفواسق أو يشرب البول ونحوه من النجاسات التي يحبها الشيطان أو يدعو غير الله فيستغيث بالمخلوقات ويتوجه إليها أو يسجد إلى ناحية شيخه ولا يخلص الدين لرب العالمين أو يلابس الكلاب أو النيران أو يأوي إلى المزابل والمواضع النجسة أو يأوي إلى المقابر ولا سيما إلى مقابر الكفار من اليهود والنصاري أو المشركين أو يكره سماع القرآن وينفر عنه ويقدم عليه سماع الأغاني والأشعار ويؤثر سماع مزامير

الشيطان على سماع كلام الرحمن فهذه علامات أولياء الشيطان لا علامات أولياء الرحمن (قال ابن مسعود رضى الله عنه) لايسأل أحدكم عن نفسه إلا القرآن فان كان يحب القرآن فهو يحب الله وإن كان يبغض القرآن فهو يبغض الله ورسوله (وقال عثمان بن عفان رضى الله عنه) لو طهرت قلوبنا لما شبعت من كلام الله عزوجل (وقال ابن مسعود) الذكر ينبت الايمان في القلب كما ينبت الماء البقل والغني ينبت النفاق في القلب كما ينبت الماء البقل وان كان الرجل خبيرا بحقائق الايمان الباطنة فارقا بين الاحوال الرحمانية والاحوال الشيطانية فيكون قد قذف الله في قلبه من نوره كما قال تعالى (يا أيها الذين آمنوا اتقو الله وآمنو برسوله يؤتكم كفلين من رحمته ويجعل لكم نورا تمشون به ويغفر لكم) وقال تعالى (وكذلك أوحينا إليك روحا من أمرنا ما كنت تدري ما الكتاب ولا الايمان ولكن جعلناه نورا نهدي به من نشاء من عبادنا) فهذا من المؤمنين الذين جاء فيهم الحديث الذى رواه الترمذي عن أبي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم قال إتقوا فراسة المؤمن فانه ينظر بنور الله قال الترمذى حديث حسن وقد تقدم الحديث الصحيح الذي فى البخاري وغيره قال فيه لايزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه فاذا أحببته كنت سمعه الذى يسمع به وبصره الذى يبصر به ويده التى يبطش بها ورجله التي يمشي بها في يسمع وبى يبصر وبي يبطش وبى يمشي ولئن سألني لاعطينه ولئن استعاذني لاعيذنه وما ترددت فى شيء أنا فاعله ترددي فى قبض نفس عبدي المؤمن يكره الموت وأكره مساءته ولابدله منه فاذا كان العبد من هؤلاء فرق بين حال أولياء الرحمن وأولياء الشيطان كما يفرق الصيرفي بين الدرهم الجيد والدرهم الزيف وكما يفرق من يعرف الخيل بين الفرس

الجيد والفرس الرديء وكما يفرق من يعرف الفروسية بين الشجاع والجبان وكما انه يجب الفرق بين النبي الصادق وبين المتنبي الكذاب فيفرق بين محمد الصادق الأمين رسول رب العالمين وموسى والمسيح وغيرهم وبين مسيلمة الكذاب والأسود العنسي وطليحة الأسدي والحرث الدمشقي وباباه الرومي وغيرهم من الكذابين وكذلك يفرق بين أولياء الله المتقين وأولياء الشيطان الضالين

فصل

والحقيقة حقيقة الدين دين رب العالمين هي ما اتفق عليها الأنبياء والمرسلون وإن كان لكل منهم شرعة ومنهاجا فالشرعة هي الشريعة قال الله تعالى (لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا) وقال تعالى (ثم جعلناك على شريعة من الامر فاتبعها ولا تتبع أهواء الذين لا يعلمون انهم لن يغنوا عنك من الله شيأ وإن الظالمين بعضهم أولياء بعض والله ولي المتقين) والمنهاج هو الطريق قال تعالى (وأن لو استقاموا على الطريقة لأسقيناهم ماء غدقا لنفتنهم فيه ومن يعرض عن ذكر ربه يسلكه عذابا صعدا) فالشرعة بمنزلة الشريعة للنهر والمنهاج هو الطريق الذي سلك فيه والغاية المقصودة هي حقيقة الدين وهي عبادة الله وحده لاشريك له وهي حقيقة دين الاسلام وهو أن يستسلم العبد لله رب العالمين لا يستسلم لغيره فمن استسلم لغيره كان مشركا (والله لا يغفر أن يشرك به) ومن لم يستسلم لله بل استكبر عن عبادته كان ممن قال الله فيه (إن الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين) ودين الاسلام هو دين الاولين والآخرين من النبيين والمرسلين وقوله تعالى (ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه)

عام في كل زمان ومكان فنوح وإبراهيم ويعقوب والأسباط وموسى وعيسى والحواريون كلهم دينهم الاسلام الذى هو عبادة الله وحده لا شريك له قال الله تعالى عن نوح (ياقوم إن كان كبر عليكم مقامي وتذكيري بآيات الله فعلى الله توكلت فاجمعوا أمركم) الى قوله (وأمرت أن أكون من المسلمين) وقال تعالى (ومن يرغب عن ملة إبراهيم إلا من سفه نفسه ولقد اصطفيناه في الدنيا وإنه في الآخرة لمن الصالحين إذ قال له ربه أسلم قال أسلمت لرب العالمين ووصى بها إبراهيم بنيه ويعقوب يابني إن الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن إلا وأنتم مسلمون) وقال تعالى (وقال موسى لقومه ياقوم إن كنتم آمنتم بالله فعليه توكلوا إن كنتم مسلمين) وقال السحرة (ربنا أفرغ علينا صبرا وتوفنا مسلمين) وقال يوسف عليه السلام (توفني مسلما وألحقني بالصالحين) وقالت بلقيس (أسلمت مع سليمان لله رب العالمين) وقال تعالى (يحكم بها النبيون الذين أسلموا للذين هادوا والربانيون والاحبار) وقال الحواريون (آمنا بالله واشهد بانا مسلمون) فدين الانبياء واحد وإن تنوعت شرائعهم (كما في الصحيحين) عن النبي صلى الله عليه وسلم قال إنا معشر الأنبياء ديننا واحد قال تعالى (شرع لكم من الدين ماوصى به نوحا والذى أوحينا إليك وماوصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه كبر على المشركين ماتدعوهم إليه) وقال تعالى (ياأيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا إني بما تعملون عليم وأن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاتقون فتقطعوا أمرهم بينهم زبرا كل حزب بما لديهم فرحون)

فصل

وقد اتفق سلف الامة وأئمتها وسائر أولياء الله تعالى على أن الانبياء أفضل من الأولياء الذين ليسوا بأنبياء وقد رتب الله عباده السعداء المنعم عليهم أربع مراتب فقال تعالى (ومن يطع الله والرسول فاولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا) (وفي الحديث) ماطلعت الشمس ولا غربت على أحد بعد النبيين والمرسلين أفضل من أبي بكر وأفضل الأمم أمة محمد صلى الله عليه وسلم قال تعالى (كنتم خير أمة أخرجت للناس) وقال تعالى (ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا) وقال النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الذي في المسند أنتم توفون سبعين أمة أنتم خيرها وأكرمها على الله وأفضل أمة محمد صلى الله عليه وسلم القرن الأول (وقد ثبت) عن النبي صلى الله عليه وسلم من غير وجه أنه قال خير القرون القرن الذي بعثت فيه ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم وهذا ثابت في الصحيحين من غير وجه (وفي الصحيحين أيضاً) عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال لا تسبوا أصحابي فو الذي نفسي بيده لو أنفق أحدكم مثل أحد ذهبا مابلغ مد أحدهم ولا نصيفه * والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار أفضل من سائر الصحابة قال تعالى (لايستوي منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل أولئك أعظم درجة من الذين أنفقوا من بعد وقاتلوا وكلا وعد الله الحسنى) وقال تعالى (والسابقون الاولون من المهاجرين والانصار والذين اتبعوهم باحسان رضي الله عنهم ورضوا عنه) والسابقون الاولون الذين انفقوا من قبل الفتح وقاتلوا والمراد بالفتح صلح الحديبية فانه

كان أول فتح مكة وفيه أنزل الله تعالى (إنا فتحنا لك فتحا مبينا ليغفر لك الله ماتقدم من ذنبك وماتأخر) فقالوا يارسول الله أوفتح هو وقال نعم (وأفضل السابقين الاولين) الخلفاء الاربعة وأفضلهم أبوبكر ثم عمر وهذا هو المعروف عن الصحابة والتابعين لهم باحسان وأئمة الامة وجماهيرها وقد دلت على ذلك دلائل بسطناها في منهاج أهل السنة النبوية في نقض كلام أهل الشيعة والقدرية (وبالجملة) اتفقت طوائف السنة والشيعة على أن أفضل هذه الامة بعد نبيها واحد من الخلفاء ولا يكون من بعد الصحابة أفضل من الصحابة (وأفضل أولياء الله تعالى) أعظمهم معرفة بما جاء به الرسول واتباعا له كالصحابة الذين هم أكمل الامة في معرفة دينه واتباعه وأبو بكر الصديق أكمل معرفة بما جاء به وعملا به فهو أفضل أولياء الله اذا كانت أمة محمد صلى الله عليه وسلم أفضل الأمم وأفضلها أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم وأفضلهم أبوبكر رضي الله عنه وقد ظن طائفة غالطة أن خاتم الاولياء أفضل الاولياء قياساً على خاتم الانبياء ولم يتكلم أحد من المشايخ المتقدمين بخاتم الاولياء الا محمد بن علي الحكيم الترمذي فانه صنف مصنفا غلط فيه في مواضع ثم صار طائفة من المتأخرين يزعم كل واحد منهم أنه خاتم الأولياء ومنهم من يدعي أن خاتم الأولياء أفضل من خاتم الأنبياء من جهة العلم بالله وأن الأنبياء يستفيدون العلم بالله من جهته كما يزعم ذلك ابن عربي صاحب كتاب الفتوحات المكية وكتاب الفصوص فخالف الشرع والعقل مع مخالفة جميع أنبياء الله تعالى وأوليائه كما يقال لمن قال فخر عليهم السقف من تحتهم لاعقل ولا قرآن وذلك أن الأنبياء أفضل في الزمان من أولياء هذه الأمة والأنبياء عليهم أفضل الصلاة والسلام أفضل من الأولياء

فكيف الانبياء كلهم والاولياء إنما يستفيدون معرفة الله ممن يأتي بعدهم ويدعي أنه خاتم الاولياء وليس آخر الاولياء أفضلهم كما أن آخر الانبياء أفضلهم فان فضل محمد صلى الله عليه وسلم ثبت بالنصوص الدالة على ذلك (كقوله صلى الله عليه وسلم) أنا سيد ولد آدم ولا فخر (وقوله) آتي باب الجنة فاستفتح فيقول الخازن من أنت فأقول محمد فيقول بك أمرت أن لا أفتح لاحد قبلك وليلة المعراج رفع الله درجته فوق الانبياء كلهم فكان أحقهم بقوله تعالى (تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض منهم من كلم الله ورفع بعضهم درجات) الى غير ذلك من الدلائل كل منهم يأتيه الوحي من الله لاسيما محمد صلى الله عليه وسلم لم يكن في نبوته محتاجاً الى غيره فلم تحتج شريعته إلى سابق ولا إلى لاحق بخلاف المسيح أحالهم في أكثر الشريعة على التوراة وجاء المسيح فكملها ولهذا كان النصارى محتاجين الى النبوات المتقدمة على المسيح كالتوراة والزبور وتمام الاربع وعشرين نبوة وكان الامم قبلنا محتاجين الى محدثين بخلاف أمة محمد صلى الله عليه وسلم فان الله أغناهم به فلم يحتاجوا معه إلى نبي ولا إلى محدث بل جمع له من الفضائل والمعارف والاعمال الصالحة ما فرقه في غيره من الانبياء فكان ما فضله الله به من الله بما أنزله اليه وأرسله اليه لا بتوسط بشر وهذا بخلاف الاولياء فان كل من بلغه رسالة محمد صلى الله عليه وسلم لا يكون ولياً لله إلا باتباع محمد صلى الله عليه وسلم وكلما حصل له من الهدي ودين الحق هو بتوسط محمد صلى الله عليه وسلم وكذلك من بلغه رسالة رسول اليه لا يكون ولياً لله الا اذا اتبع ذلك الرسول الذى أرسل اليه ومن ادعى ان من الاولياء الذين بلغتهم رسالة محمد صلى الله عليه وسلم من له طريق الى الله لا يحتاج فيه الى محمد فهذا كافر ملحد واذا قال أنا محتاج الى محمد في علم

الظاهر دون علم الباطن أو في علم الشريعة دون علم الحقيقة فهو شر من اليهود والنصارى الذين قالوا إن محمداً رسول إلى الاميين دون أهل الكتاب فان أولئك آمنوا ببعض وكفروا ببعض فكانوا كفاراً بذلك وكذلك هذا الذى يقول إن محمدا بعث بعلم الظاهر دون علم الباطن آمن ببعض ما جاء به وكفر ببعض فهو كافر وهو أكفر من أولئك لأن علم الباطن الذي هو علم إيمان القلوب ومعارفها وأحوالها هو علم بحقائق الايمان الباطنة وهذا أشرف من العلم بمجرد أعمال الاسلام الظاهرة (فاذا ادعى) المدعي ان محمداً صلى الله عليه وسلم إنما علم هذه الامور الظاهرة دون حقائق الايمان وانه لا يأخذ هذه الحقائق عن الكتاب والسنة فقد ادعي ان بعض الذي آمن به مما جاء به الرسول دون البعض الآخر وهذا شر ممن يقول أؤمن ببعض وأكفر ببعض ولا يدعي ان هذا البعض الذي آمن به أدنى القسمين وهؤلاء الملاحدة يدعون ان الولاية أفضل من النبوة ويلبسون على الناس فيقولون ولايته أفضل من نبوته وينشدون

مقام النبوة في برزخ * فويق الرسل دون الولي

ويقولون نحن شاركناه في ولايته التي هى أعظم من رسالته وهذا من أعظم ضلالهم فان ولاية محمد لم يماثله فيها أحد لا ابراهيم ولا موسى فضلا عن أن يماثله فيها هؤلاء الملحدون وكل رسول نبي ولى فالرسول نبي ولي ورسالته متضمنة لنبوته ونبوته متضمنة لولايته واذا قدروا مجرد إنباء الله أياه بدون ولايته لله فهذا تقدير ممتنع فانه حال إنبائه إياه ممتنع أن يكون الا ولياً لله ولا تكون مجردة عن ولايته ولو قدرت مجردة لم يكن أحد مماثلا للرسول في ولايته وهؤلاء قد يقولون كما يقول صاحب الفصوص ابن عربي انهم يأخذون من المعدن الذي يأخذ منه الملك

القدسي ثم يوحي به إلى الرسول ومن ذلك أنهم اعتقدوا عقيدة المتفلسفة ثم أخرجوها
في قالب المكاشفة وذلك أن المتفلسفة الذين قالوا إن الأفلاك قديمة أزلية
لها علة تتشبه بها كما يقوله أرسطو وأتباعه أو لها موجب بذاته كما يقوله
متأخروهم كابن سينا وأمثاله ولا يقولون إنها محدثة خلق السموات والأرض
وما بينهما في ستة أيام ولا أن خالق الأشياء بمشيئته وقدرته ولا يعلم الجزئيات
بل منهم من ينكر أن الله عالم بنفسه كأرسطو وأتباعه ومنهم من يقولون إنه يعلم في الأمور
المتغيرة كليًا كما يقوله ابن سينا وحقيقة هذا القول جحد لعلمه بما في الأفلاك
وكل ما هو موجود في الخارج فهو معين جزئي والأفلاك كل منها معين جزئي
وكذلك جميع الأعيان وصفاتها وأفعالها فمن لم يعلم إلا الكليات لم يعلم شيئًا
من الموجودات والكليات إنما توجد كليات في الأذهان لا في الأعيان
والكلام على هؤلاء مبسوط في موضع آخر في درء تعارض العقل والنقل
وغيره والمقصود أن كفر هؤلاء أعظم من كفر اليهود والنصارى بل ومشركي
العرب فإن جميع هؤلاء يقولون إن الله خالق السموات والأرض وأنه
خلق المخلوقات بمشيئته وقدرته وأرسطو وأتباعه من الفلاسفة اليونان
كانوا يعبدون الكواكب والأصنام وهم لا يعرفون الملائكة والأنبياء
وليس في كتب أرسطو ذكر لشيء من ذلك وإنما غالب علوم القوم الأمور
الطبيعية وأما الأمور الإلهية فكل منهم فيها قليل الصواب كثير الخطأ
واليهود والنصارى بعد النسخ والتبديل أعلم بالإلهيات منهم بكثير ولكن
متأخروهم كابن سينا أرادوا أن يلفقوا بين كلام أولئك وبين ما جاءت
به الرسل فأخذوا أشياء من أصول الجهمية والمعتزلة وركبوا مذهبًا قد
يستحلي إليه متفلسفة أهل الملل وفيه من الفساد والتناقض ما قد نبهنا على بعضه
في غير هذا الموضع وهؤلاء الملاحدة أول أمرهم كموسى بن عيسى ومحمد صلى

الله عليه وسلم قد ظهر أنه عالم وعبروا عنه بالناموس الذي بعث به محمد صلى الله عليه
وسلم أعظم ناموس طرق العالم ووجدوا الأنبياء قد ذكروا الملائكة والجن
أرادوا أن يجمعوا بين ذلك وبين أقوال سلفهم اليونان الذين هم أبعد الخلق
عن معرفة الله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وأولئك قد أثبتوا
عقولًا عشرة يسمونها المجردات والمفارقات وأصل ذلك مأخوذ من كلام
مفارقة النفس للبدن وسموا تلك المفارقات لمفارقتها المادة وتجردها عنها
وأثبتوا الأفلاك لكل فلك نفسًا وأكثرهم جعلوها أعراضًا وبعضهم
جعلها جواهر وهذه المجردات التي أثبتوها ترجع عند التحقيق
إلى أمور موجودة في الأذهان لا في الأعيان كما أثبت أصحاب أفلاطون
الأمثال الأفلاطونية المجردة وأثبتوا هيولى مجردة عن الصورة ومدة
وخلاء مجردين وقد اعترف حذاقهم بأن ذلك إنما يتحقق في الأذهان
لا في الأعيان فلما أراد هؤلاء المتأخرون منهم كابن سينا أن يثبتوا أمر
النبوات على أصولهم الفاسدة زعموا أن النبوة لها خصائص ثلاثة من
اتصف بها فهو نبي أن تكون له قوة علمية يسمونها القوة القدسية
ينال بها من العلم بلا تعلم وأن يكون له قوة تخيلية تخيل له ما يعقل في
نفسه بحيث يرى في نفسه صورًا أو يسمع في نفسه أصواتًا كما يراه النائم ويسمعه
ولا يكون لها وجود في الخارج وزعموا أن تلك الصور هي ملائكة الله
وتلك الأصوات هي كلام الله تعالى وأن يكون له قوة فعالة يؤثر بها في
هيولى العالم وجعلوا معجزات الأنبياء وكرامات الأولياء وخوارق السحرة
هي قوى أنفس فأقروا من ذلك بما يوافق أصولهم من قلب العصا حية
دون انشقاق القمر ونحو ذلك فإنهم ينكرون وجود هذا وقد بسطنا
الكلام على هؤلاء في مواضع وبينا أن كلامهم هذا أفسد الكلام وأن هذا

الذي جعلوه من الخصائص التي تحصل ماهو أعظم منه لآحاد العامة ولاتباع
الانبياء وان الملائكة التي أخبرت بها الرسل أحياء ناطقون أعظم مخلوقات
الله وهم كثيرون كما قال تعالى (وما يعلم جنود ربك الا هو) وليسوا عشرة
وليسوا أعراضاً لاسيما وهؤلاء يزعمون ان الصادر الاول هو العقل
الاول وعنه صدر كلما دونه والعقل الفعال العاشر رب كلما تحت فلك القمر
وهذا كله يعلم فساده بالاضطرار من دين الرسل فليس أحد من الملائكة
مبدع لكل ماسوى الله وهؤلاء يزعمون ان العقل المذكور في حديث
يروى ان أول ماخلق الله العقل فقال له أقبل فاقبل فقال له أدبر فادبر
فقال وعزتي ماخلقت خلقاً أكرم على منك فبك آخذ وبك أعطي ولك
الثواب وعليك العقاب ويسمونه أيضاً القلم لما روى ان أول ماخلق الله
القلم الحديث رواه الترمذي والحديث الذي ذكروه في العـقل كذب
موضوع عند أهل المعرفة بالحديث كما ذكر ذلك أبو حاتم البستي والدارقطني
وابن الجوزي وغيرهم وليس في شيء من دواوين الحديث التي يعتمد عليها
ومع هذا فلفظه لو كان ثابتاً حجة عليهم فان لفظه أول ماخلق الله تعالى
العقل قال له ويروى لما خلق الله العقل قال له فمعنى الحديث انه خاطبه
فى أول أوقات خلقه ليس معناه انه أول المخلوقات وأول منصوب على
الظرف كما في اللفظ الآخر لما وتمام الحديث ماخلقت خلقاً أكرم على
منك فهذا يقتضي انه خلق قبله غيره ثم قال فبك آخذ وبك أعطي ولك
الثواب وعليك العقاب فذكر أربعة أنواع من الاعراض وعندهم ان
جميع جواهر العالم العلوي والسفلي صدر عن ذلك العقل فاين هذا من
هذا وسبب غلطهم أن لفظ العقل في لغة المسلمين ليس هو لفظ العقل
في لغة هؤلاء اليونان فان العقل في لغة المسلمين مصدر عقل يعقل عقلا

كما في القرآن (وقالوا لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا في أصحاب السعير) (ان
في ذلك لآيات لقوم يعقلون) (أولم يسيروا في الارض فتكون لهم قلوب
يعـقلون بها أو آذان يسمعون بها) ويراد بالعقل الغريزة التي جعلها الله
تعالى في الانسان يعقل بها وأما أولئك فالعقل عندهم جوهر قائم بنفسه
كالعاقل وليس هذا مطابقاً لغة الرسل والقرآن وعالم الخلق عندهم كما
يذكره أبو حامد عالم الاجسام العقل والنفوس فيسميها عالم الامر وقد يسمى
العقل عالم الجبروت والنفوس عالم الملكوت والاجسام عالم الملك ويظن
من لم يعرف لغة الرسل ولم يعرف معنى الكتاب والسنة ان مافي الكتاب
والسنة من ذكر الملك والملكوت والجبروت موافق لهذا وليس الامر
كذلك وهؤلاء يلبسون على المسلمين تلبيسا كثيراً كاطلاقهم ان الفلك محدث
أي معلول مع انه قديم عندهم والمحدث لايكون الا مسبوقا بالعدم ليس
في لغة العرب ولا في لغة أحد انه يسمي القديم الازلى محدثا والله قد أخبر انه
خالق كل شيء وكل مخلوق فهو محدث وكل محدث كائن بعد ان لم يكن
لكن ناظرهم أهل الكلام من الجهمية والمعتزلة مناظرة قاصرة لم يعرفوا
بها ما أخبر به الرسول ولا أحكموا فيها قضايا العقول فلا للاسلام نصروا
ولا للأعداء كسروا وشاركوا أولئك في بعض قضاياهم الفاسدة ونازعوهم
في بعض المعقولات الصحيحة فصار قصور هؤلاء في العلوم السمعية والعقلية من
أسباب قوة ضلال أولئك كما قد بسط في غير هذا الموضع وهؤلاء المتفلسفة قد
يجعلون جبريل هو الخيال الذي يتشكل في نفس النبي صلى الله عليه وسلم والخيال
تابع للعقل فجاء الملاحدة الذين شاركوا هؤلاء الملاحدة المتفلسفة وزعموا انهم
أولياء الله وان اولياء الله أفضل من أنبياء الله وانهم يأخذون عن الله
بلا واسطة كابن عربى صاحب الفتوحات والفصوص فقال انه يأخذ من

المعدن الذى أخذ منه الملك الذي يوحى به الى الرسول والمعدن عنده هو العقل والملك هو الخيال والخيال تابع للعقل وهو بزعمه يأخذ عن الذي هو أصل الخيال والرسول يأخذ عن الخيال فلهذا صار عند نفسه فوق النبي ولو كان خاصة النبي ماذكروه ولم يكن هو من جنسه فضلا عن أن يكون فوقه فكيف وماذكروه يحصل لآحاد المؤمنين والنبوة أمر وراء ذلك فان ابن عربي وأمثاله وان ادعوا انهم من الصوفية فهم من صوفية الملاحدة الفلاسفة ليسوا من صوفية أهل العلم فضلا عن أن يكونوا من مشايخ أهل الكتاب والسنة كالفضيل ابن عياض وابراهيم بن أدهم وأبي سليمان الداراني ومعروف الكرخي والجنيد ابن محمد وسهل بن عبد الله التستري وأمثالهم رضوان الله تعالى عليهم أجمعين والله سبحانه وتعالى قد وصف الملائكة في كتابه بصفات تباين قول هؤلاء كقوله تعالى (وقالوا اتخذ الرحمن ولدا سبحانه بل عباد مكرمون لايسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون يعلم مابين أيديهم وماخلفهم ولايشفعون الالمن ارتضى وهم من خشيته مشفقون ومن يقل منهم اني اله من دونه فذلك نجزيه جهنم كذلك نجزى الظالمين) وقال تعالى (وكم من ملك في السموات لاتغني شفاعتهم شيأ الامن بعد أن يأذن الله لمن يشاء ويرضى) وقال تعالى (قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله لايملكون مثقال ذرة في السموات ولافي الارض ومالهم فيهما من شرك وماله منهم من ظهير ولاتنفع الشفاعة عنده الالمن أذن له) وقال تعالى (وله من في السموات والارض ومن عنده لايستكبرون عن عبادته ولايستحسرون يسبحون الليل والنهار لايفترون) وقد أخبر أن الملائكة جاءت لابراهيم عليه السلام في صورة البشر وان الملك تمثل لمريم بشرا سويا وكان جبريل عليه السلام يأتي النبي صلى الله عليه وسلم في

صورة دحية الكلبي وفي صورة اعرابي ويراهم الناس كذلك وقد وصف الله تعالى جبريل عليه السلام بأنه ذوقوة عند ذى العرش مكين مطاع ثم أمين وأن محمدا صلى الله عليه وسلم رآه بالافق المبين ووصفه بانه شديد القوي ذومرة فاستوي وهو بالافق الاعلى ثم دني فتدلى فكان قاب قوسين أوأدني فاوحي الى عبده ماأوحي ما كذب الفؤاد ماراي أفتمارونه على مايري ولقد رآه نزلة أخري عند سدرة المنتهى عندها جنة المأوي اذيغشي السدرة مايغشي مازاغ البصر وماطغي لقدراي من آيات ربه الكبري (وقد ثبت في الصيحين) عن عائشة رضى الله عنها عن النبي صلى الله عليه وسلم انه لم ير جبريل في صورته التي خلق عليها غير مرتين يعني المرة الاولى بالافق الاعلى والنزلة الاخري عند سدرة المنتهي ووصف جبريل عليه السلام في موضع آخر بانه الروح الامين وانه روح القدس الى غير ذلك من الصفات التي تبين انه من أعظم مخلوقات الله تعالى الاحياء العقلاء وانه جوهر قائم بنفسه ليس خيالا في نفس النبي كما زعم هؤلاء الملاحدة المتفلسفة والمدعون ولاية الله وانهم أعلم من الانبياء وغاية حقيقة هؤلاء انكار أصول الايمان بان يؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وحقيقة أمرهم جحد الخالق فانهم جعلوا وجود المخلوق هو وجود الخالق وقالوا الوجود واحد ولم يميزوا بين الواحد بالعين والواحد بالنوع فان الموجودات تشترك في مسمي الوجود كما تشترك الاناسي في مسمى الانسان والحيوانات في مسمي الحيوان ولكن هذا المشترك الكلي لايكون مشتركا كلياً الافي الذهن والا فالحيوانية القائمة بهذا الانسان ليست هي الحيوانية القائمة بالفرس ووجود السموات ليس هو بعينه وجود الانسان فوجود الخالق جل جلاله ليس هو كوجود مخلوقاته وحقيقة قولهم قول فرعون الذى عطل الصانع

فأنه لم يكن منكراً هذا الموجود والمشهود لكن زعم انه موجود بنفسه لاصانع له وهؤلاء وافقوه في ذلك لكن زعموا بانه هو الله فكانوا أضل منه وان كان قوله هذا هو اظهر فساداً منهم ولهذا جعلوا عباد الاصنام ماعبدوا الا الله وقالوا لما كان فرعون في منصب التحكم صاحب السيف وان جاز في العرف الناموس كذلك قال أنا ربكم الاعلى أى وان كان الكل اربابا بنسبة ما فأنا الاعلى منكم بما أعطيته في الظاهر من الحكم فيكم قالوا ولما علمت السحرة صدق فرعون فيما قاله أقروا له بذلك وقالوا اقض ما أنت قاض انما تقضي هذه الحياة قالوا فصح قول فرعون أنا ربكم الاعلى وكان فرعون عين الحق ثم أنكروا حقيقة اليوم الآخر فجعلوا أهل النار يتنعمون كما يتنعم أهل الجنة فصاروا كافرين بالله واليوم الآخر وبملائكته وكتبه ورسله مع دعواهم انهم خلاصة خاصة الخاصة من أهل ولاية الله وانهم أفضل من الانبياء وان الانبياء انما يعرفون الله من مشكاتهم وليس هذا موضع بسط الحاد هؤلاء ولكن لما كان الكلام في أولياء الله والفرق بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان وكان هؤلاء من أعظم الناس إدعاء لولاية الله وهم من أعظم الناس ولاية للشيطان نبهنا على ذلك ولهذا عامة كلامهم انما هو في الحالات الشيطانية ويقولون ماقاله صاحب الفتوحات باب أرض الحقيقة ويقولون هي أرض الخيال فتعرف بأن الحقيقة التي يتكلم فيها هي خيال ومحل تصرف الشيطان فان الشيطان يخيل للانسان الامور بخلاف ماهي قال تعالى (ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطاناً فهو له قرين وانهم ليصدونهم عن السبيل ويحسبون أنهم مهتدون حتي اذا جاءنا قال ياليت بيني وبينك بعد المشرقين فبئس القرين ولن ينفعكم اليوم اذ ظلمتم أنكم في العذاب مشتركون)

وقال تعالى (ان الله لايغفر أن يشرك به ويغفر مادون ذلك لمن يشاء ومن يشرك بالله فقد ضل ضلالا بعيدا) الى قوله يعدهم ويمنيهم ومايعدهم الشيطان الا غرورا) وقال تعالى (وقال الشيطان لما قضى الامر ان الله وعدكم وعد الحق ووعدتكم فأخلفتكم وما كان لي عليكم من سلطان الا أن دعوتكم فاستجبتم لي فلا تلوموني ولوموا أنفسكم ما أنا بمصرخكم وما أنتم بمصرخي اني كفرت بما أشركتموني من قبل ان الظالمين لهم عذاب أليم) وقال تعالى (واذ زين لهم الشيطان أعمالهم وقال لاغالب لكم اليوم من الناس واني جار لكم فلما تراءت الفئتان نكص على عقبيه وقال اني بريء منكم اني أرى مالا ترون اني أخاف الله والله شديد العقاب وقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح أنه رأى جبريل يزع الملائكة والشياطين اذا رأت ملائكة الله التي يؤيد بها عباده هربت منهم والله يؤيد عباده المؤمنين بملائكته قال تعالى (اذ يوحي ربك الى الملائكة أني معكم فثبتوا الذين آمنوا) وقال تعالى (ياأيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم اذ جاءتكم جنود فأرسلنا عليهم ريحاً وجنوداً لم تروها) وقال تعالى (اذ يقول لصاحبه لاتحزن ان الله معنا فأنزل الله سكينته عليه وأيده بجنود لم تروها) وقال تعالى (اذ تقول للمؤمنين ألن يكفيكم أن يمدكم ربكم بثلاثة آلاف من الملائكة منزلين بلى ان تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مسومين) وهؤلاء يأتيهم أرواح تخاطبهم وتتمثل لهم وهي جن وشياطين فيظنونها ملائكة كالارواح التي تخاطب من يعبد الكواكب والاصنام (وكان من أول ماظهر من هؤلاء في الاسلام المختار بن أبي عبيد الذي أخبر به النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح الذي رواه مسلم في صحيحه عن

النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال سيكون في ثقيف كذاب ومبير وكان الكذاب المختار بن أبي عبيد والمبير الحجاج بن يوسف فقيل لابن عمر وابن عباس أن المختار يزعم أنه ينزل اليه فقالا صدق قال الله تعالى (هل أنبئكم على من تنزل الشياطين تنزل على كل أفاك أثيم) وقال الآخر وقيل له ان المختار يزعم انه يوحى اليه فقال قال الله تعالى (وان الشياطين ليوحون الى أوليائهم ليجادلوكم) وهذه الارواح الشيطانية هي الروح الذي يزعم صاحب الفتوحات انه ألقى اليه ذلك الكتاب ولهذا يذكر أنواعا من الخلوات بطعام معين وشيء معين وهذه مما تفتح لصاحبها اتصالا بالجن والشياطين فيظنون ذلك من كرامات الاولياء وانما هو من الاحوال الشيطانية واعرف من هؤلاء عددا ومنهم من كان يحمل في الهواء الى مكان بعيد ويعود ومنهم من كان يؤتي بمال مسروق تسرقه الشياطين وتأتيه به ومنهم من كانت تدله على السرقات بجعل يحصل له من الناس أو بعطاء يعطونه اذا دلهم على سرقاتهم ونحو ذلك ولما كانت أحوال هؤلاء شيطانية كانوا مناقضين للرسل صلوات الله تعالى وسلامه عليهم كما يوجد في كلام صاحب الفتوحات المكية والفصوص وأشباه ذلك يمدح الكفار مثل قوم نوح وهود وفرعون وغيرهم وينتقص الانبياء كنوح وابراهيم وموسى وهرون ويذم شيوخ المسلمين المحمودين عند المسلمين كالجنيد بن محمد وسهل بن عبد الله التستري ويمدح المذمومين عند المسلمين كالحلاج ونحوه كما ذكره في تجلياته الخيالية الشيطانية فان الجنيد قدس الله روحه كان من أئمة الهدى فسئل عن التوحيد فقال التوحيد أفراد الحدوث عن القدم فبين أن التوحيد ان تميز بين القديم والمحدث وبين الخالق والمخلوق وصاحب الفصوص انكر هذا وقال في مخاطبته الخيالية

الشيطانية له يا جنيد هل يميز بين المحدث والقديم الا من يكون غيرهما فخطأ الجنيد في قوله افراد الحدوث عن القدم لان قوله هو ان وجود المحدث هو عين وجود القديم كما قاله في فصوصه ومن أسمائه الحسنى العلي على من وما ثم الا هو وعن ماذا وما هو الا هو فعلوه لنفسه وهو عين الموجودات فالمسمى محدثات هي العلية لذاته وليست الا هو الى أن قال هو عين ما بطن وهو عين ما ظهر وما ثم من يراه غيره وما ثم من ينطق عنه سواه وهو المسمى أبو سعيد الخراز وغير ذلك من الاسماء المحدثات فيقال لهذا الملحد ليس من شرط المميز بين الشيئين بالعلم والقول أن يكون ثالثا غيرهما فان كل واحد من الناس يميز بين نفسه وغيره وليس هو ثالثا فالعبد يعرف انه عبد ويميز بين نفسه وبين خالقه والخالق جل جلاله يميز بين نفسه وبين مخلوقاته ويعلم أنه ربهم وانهم عباده كما نطق بذلك القرآن في غير موضع والاستشهاد بالقرآن عند المؤمنين الذين يقرون به باطنا وظاهرا وأما هؤلاء الملاحدة فيزعمون ما كان يزعمه التلمساني منهم وهو أحذقهم في اتحادهم لما قرئ عليه الفصوص فقيل له القرآن يخالف فصوصكم فقال القرآن كله شرك وانما التوحيد في كلامنا فقيل له فاذا كان الوجود واحدا فلم كانت الزوجة حلالا والاخت حراما فقال الكل عندنا حلال ولكن هؤلاء المحجوبون قالوا حرام فقلنا حرام عليكم وهذا مع كفره العظيم متناقض ظاهر فان الوجود اذا كان واحدا فمن المحجوب ومن الحاجب ولهذا قال بعض شيوخهم لمريده من قال لك أن في الكون سوى الله فقد كذب فقال له مريده فمن هو الذي يكذب وقالوا لآخر هذه مظاهر فقال لهم المظاهر غير المظاهر أم هي فان كانت غيرها فقد قلتم بالنسبة وان كانت اياها فلا فرق وقد بسطنا الكلام على كشف أسرار هؤلاء في موضع آخر وبينا حقيقة قول كل واحد منهم وان صاحب الفصوص يقول المعدوم

شيء ووجود الحق فاض عليهما فيفرق بين الوجود والثبوت والمعتزلة الذين
قالوا المعدوم شيء ثابت في الخارج مع ضلالهم خير منه فان أولئك قالو ان
الرب خلق لهذه الاشياء الثابتة في العدم وجوداً ليس هو وجود الرب وهذا
زعم أن عين وجود الرب فاض عليهما فليس عنده وجود مخلوق مباين لوجود
الخالق وصاحبه الصدر القونوى يفرق بين المطلق والمعين لانه كان أقرب الى
الفلسفة فلم يقر بان المعدوم شيء لكن جعل الحق هو الوجود المطلق وصنف
مفتاح غيب الجمع والوجود وهذا القول أدخل في تعطيل الخالق وعدمه
فان المطلق بشرط الاطلاق وهو الكلي العقلي لايكون الا في الاذهان لافي
الاعيان والمطلق لابشرط وهو الكلى الطبيعي وان قيل انه موجود في الخارج
فلا يوجد في الخارج الا معينا وهو جزء من المعين عند من يقول بثبوته
في الخارج فيلزم أن يكون وجود الرب إما منتفيا فى الخارج وإما أن يكون
جزأ من وجود المخلوقات وإما ان يكون عين وجود المخلوقات وهل يخلق
الجزء الكل أم يخلق الشيء نفسه أم العدم يخلق الوجود أو يكون بعض
الشيء خالقا لجميعه وهؤلاء يفرون من لفظ الحلول لانه يقتضى حالا ومحلا
ومن لفظ الاتحاد لانه يقتضي شيئين اتحد احداهما بالآخر وعندهم الوجود
واحد ويقولون النصاري انما كفروا لما خصصوا المسيح بأنه هو الله ولو
عمموا لما كفروا وكذلك يقولون في عباد الاصنام انما اخطؤا لما عبدوا
بعض المظاهر دون بعض فلو عبدوا الجميع لما اخطؤا عندهم والعارف المحقق
عندهم لا يضره عبادة الاصنام وهذا مع مافيه من الكفر العظيم ففيه ما
يلزمهم دائما من التناقض لانه يقال لهم فمن المخطيء لكنهم يقولون ان
الرب هو الموصوف بجميع النقائص التي يوصف بها المخلوق ويقولون ان
المخلوقات يوصف بجميع الكمالات التي يوصف بها الخالق ويقولون

ماقاله صاحب الفصوص فالعلى لنفسه هو الذي يكون له الكمال الذي يستوعب
به جميع النعوت الوجودية والنسب العدمية سواء كانت محمودة عرفاً او عقلا
اوشرعا اومذمومة عرفا وعقلا وشرعا وليس ذلك الا للمسمى الله خاصة وهم مع
كفرهم هذا لايندفع عنهم التناقض فانه معلوم بالحس والعقل ان هذا ليس هو
ذاك وهؤلاء يقولون ما كان يقوله التلمساني انه ثبت عندنا في الكشف
ماينافض صريح العقل ويقولون من اراد التحقيق يعني تحقيقهم فليترك
العقل والشرع وقد قلت لمن خاطبته منهم ومعلوم ان كشف الانبياء اعظم وأتم
من كشف غيرهم وخبرهم اصدق من خبر غيرهم والانبياء صلوات الله
وسلامه عليهم يخبرون بما تعجز عقول الناس عن معرفته لا بما يعرف الناس
بعقولهم انه ممتنع فيخبرون بمجازات العقول لا بمحالات العقول ويمتنع
أن يكون في اخبار الرسول ماينافض صريح العقول ويمتنع ان يتعارض
دليلان قطعيان سواء كانا عقليين أوسمعيين أوكان أحدهما عقليا والآخر
سمعيا فكيف بمن ادعي كشفا يناقض صريح الشرع والعقل وهؤلاء قد
لايتعمدون الكذب لكن يخيل لهم أشياء تكون في نفوسهم ويظنونها في
الخارج وأشياء يرونها تكون موجودة في الخارج لكن يظنونها من
كرامات الصالحين وتكون من تلبيسات الشياطين وهؤلاء الذين يقولون
بالوحدة قد يقدمون الاولياء على الانبياء ويذكرون ان النبوة لم تنقطع
كما يذكر عن ابن سبعين وغيره ويجعلون المراتب ثلاثة يقولون العبد
يشهد أولا طاعة ومعصية ثم طاعة بلا معصية ثم لاطاعة ولامعصية والشهود
الاول هو الشهود الصحيح وهو الفرق بين الطاعات والمعاصي وأما الشهود
الثانى فيريدون به شهود القدر كما ان بعض هؤلاء يقول أنا كافر برب
يعصي وهذا يزعم أن المعصية مخالفة الارادة التي هى المشيئة والخلق

كلهم داخلون تحت حكم المشيئة ويقول شاعرهم

أصبحت منفعلا لما تختاره * مني ففعلى كله طاعات

ومعلوم أن هذا خلاف ماأرسل الله به رسله وانزل به كتبه فان المعصية التي يستحق صاحبها الذم والعقاب مخالفة أمر الله ورسوله (كما قال تعالى) تلك حدود الله ومن يطع الله ورسوله يدخله جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها وذلك الفوز العظيم ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده يدخله نارا خالدا فيها وله عذاب مهين وسنذكر الفرق بين الارادة الكونية والدينية والامر الكوني والديني وكانت هذه المسئلة قد اشتبهت على طائفة من الصوفية فبينها الجنيد رحمه الله لهم من اتبع الجنيد فيها كان على السداد ومن خالفه ضل لانهم تكلموا بان الامور كلها بمشيئة الله وقدرته وفي شهود هذا التوحيد وهذا يسمونه الجمع الاول فبين لهم الجنيد انه لابد من شهود الفرق الثاني وهو انه مع شهود كون الاشياء كلها مشتركة في مشيئة الله وقدرته وخلقه يجب الفرق بين مايأمر به ويحبه ويرضاه وبين مانهى عنه ويكرهه ويسخطه ويفرق بين أوليائه وأعدائه (كما قال تعالى) أفنجعل المسلمين كالمجرمين مالكم كيف تحكمون (وقال تعالى) أم نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين في الارض أم نجعل المتقين كالفجار (وقال تعالى) أم حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم ساء مايحكمون (وقال تعالى) وما يستوي الاعمى والبصير والذين آمنوا وعملوا الصالحات ولا المسيء قليلا ماتتذكرون ولهذا كان مذهب سلف الامة وأئمتها ان الله خالق كل شيء وربه ومليكه ماشاء كان ومالم يشأ لم يكن لارب غيره وهو مع ذلك أمر بالطاعة ونهي عن المعصية وهو

لايحب الفساد ولا يرضي لعباده الكفر ولا يأمر بالفحشاء وإن كانت واقعة بمشيئته فهو لايحبها ولا يرضاها بل يبغضها ويذم أهلها ويعاقبهم وأما المرتبة الثالثة أن لايشهد طاعة ولامعصية فانه يري أن الوجود واحد وعندهم أن هذا غاية التحقيق والولاية لله وهو في الحقيقة غاية الالحاد في أسماء الله وآياته وغاية العداوة لله فان صاحب هذا المشهد يتخذ اليهود والنصاري وسائر الكفار أولياء وقد قال تعالى (ومن يتولهم منكم فانه منهم) ولا يتبرأ من الشرك والأوثان فيخرج عن ملة إبراهيم الخليل صلوات الله وسلامه عليه قال الله تعالى (قد كانت لكم أسوة حسنة في إبراهيم والذين معه إذقالوا لقومهم إنابرآء منكم ومماتعبدون من دون الله كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبدا حتى تؤمنوا بالله وحده) وقال الخليل عليه السلام لقومه المشركين (أفرأيتم ما كنتم تعبدون أنتم وآباؤكم الأقدمون فانهم عدو لي إلا رب العالمين) وقال تعالى (لاتجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أوأبناءهم أوإخوانهم أوعشيرتهم أولئك كتب في قلوبهم الايمان وأيدهم بروح منه) وهؤلاء قد صنف بعضهم كتبا وقصائد على مذهبه مثل قصيدة ابن الفارض المسماة بنظم السلوك يقول فيها

لها صلاتي بالمقام أقيمها * وأشهد فيها أنها لي صلت

كلانا مصل واحد ساجد إلى * حقيقته بالجمع في كل سجدة

وما كان لي صلى سوائي ولم تكن * صلاتي لغيري في أدا كل ركعة

إلى أن قال

وما زلت إياها وإياي لم تزل * ولافرق بين ذاتي لذات صلت

إلي رسولا كنت منى مرسلا * وذاتي بآياتي علي استدلت

فان دعيت كنت المجيب وإن أكن * منادا أجابت من دعاني ولبت

إلى أمثال هذا الكلام ولهذا كان هذا القائل عند الموت ينشد ويقول

إن كان منزلتي في الحب عندكم * ماقد لقيت فقد ضيعت أيامي

أمنية ظفرت نفسي بها زمنا * واليوم أحسبها أضغاث أحلام

فانه كان يظن أنه هو الله فلما حضرت ملائكة الله لقبض روحه تبين له بطلان ما كان يظنه وقال الله تعالى ﴿ سبح لله مافي السموات والارض وهو العزيز الحكيم ﴾ فجميع مافي السموات والارض يسبح لله ليس هو الله ثم قال تعالى ﴿ له ملك السموات والارض يحي ويميت وهو على كل شيء قدير هو الأول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم ﴾ وفي صحيح مسلم عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان يقول في دعائه اللهم رب السموات السبع ورب العرش العظيم ربنا ورب كل شيء فالق الحب والنوي منزل التوراة والانجيل والقرآن أعوذ بك من شر كل دابة أنت آخذ بناصيتها أنت الأول فليس قبلك شيء وأنت الآخر فليس بعدك شيء وأنت الظاهر فليس فوقك شيء وأنت الباطن فليس دونك شيء إقض عني الدين واغنني من الفقر ثم قال ﴿ هو الذي خلق السموات والأرض في سته أيام ثم استوي على العرش يعلم مايلج في الأرض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها وهو معكم أينما كنتم والله بما تعملون بصير ﴾ فذكر أن السموات والأرض وفي موضع آخر وما بينهما مخلوق مسبح له وأخبر سبحانه أنه يعلم كل شيء وأما قوله وهو معكم فلفظ مع لاتقتضي في لغة العرب أن يكون أحد الشيئين مختلطاً بالآخر كقوله تعالى ﴿ اتقوا الله وكونوا مع الصادقين ﴾ وقوله تعالى محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار ﴾

وقوله تعالى ﴿ والذين آمنوا من بعد وهاجروا وجاهدوا معكم فأولئك منكم ﴾ ولفظ مع جاءت في القرآن عامة وخاصة فالعامة في هذه الآية وفي آية المجادلة ﴿ ألم تر أن الله يعلم مافي السموات وما في الارض مايكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم ولا خمسة إلا هو سادسهم ولا أدني من ذلك ولا أكثر إلا هو معهم أينما كانوا ثم ينبئهم بما عملوا يوم القيامة إن الله بكل شيء عليم ﴾ فافتتح الكلام بالعلم وختمه بالعلم ولهذا قال ابن عباس والضحاك وسفيان الثوري واحمد بن حنبل هو معهم بعلمه واما المعية الخاصة ففي قوله تعالى ﴿ إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون ﴾ وقوله تعالى لموسى ﴿ إنني معكما أسمع وأري ﴾ وقال تعالى ﴿ إذ يقول لصاحبه لاتحزن إن الله معنا ﴾ يعني النبي صلى الله عليه وسلم وابا بكر رضى الله عنه فهو مع موسي وهرون دون فرعون ومع محمد وصاحبه دون ابي جهل وغيره من اعدائه ومع الذين اتقوا والذين هم محسنون دون الظالمين المعتدين فلو كان معنى المعية أنه بذاته في كل مكان تناقض الخبر الخاص والخبر العام بل المعنى أنه مع هؤلاء بنصره وتأييده دون اولئك وقوله تعالى ﴿ وهو الذي في السماء إله وفي الارض إله ﴾ اي هو إله من في السموات وإله من في الارض كما قال تعالى ﴿ وله المثل الاعلى في السموات والارض وهو العزيز الحكيم ﴾ وكذلك قوله تعالى ﴿ وهو الله في السموات وفي الارض ﴾ كما فسره أئمة العلم كالامام احمد وغيره انه المعبود في السموات والارض واجمع سلف الامة وأئمتها على ان الرب تعالى باين من مخلوقاته يوصف بما وصف به نفسه وبما وصفه به رسوله صلى الله عليه وسلم من غير تحريف ولا تعطيل ومن غير تكييف ولاتمثيل يوصف بصفات

الكمال دون صفات النقص ويعلم انه ليس كمثله شيء ولا لقوله في شيء من صفات الكمال كما قال الله تعالى (قل هو الله احد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً احد) قال ابن عباس الصمد العليم الذي كمل في علمه العظيم الذي كمل في عظمته القدير الكامل في قدرته الحكيم الكامل في حكمته السيد الكامل في سؤدده وقال ابن مسعود وغيره هو الذي لاجوف له والاحد الذي لا نظير له فاسمه الصمد يتضمن اتصافه بصفات الكمال ونفي النقائص عنه واسمه الاحد يتضمن اتصافه أنه لامثل له وقد بسطنا الكلام على ذلك في تفسير هذه السورة وفي كونها تعدل ثلث القرآن

﴿ فصل ﴾

وكثير من الناس تشتبه عليهم الحقائق الامرية الدينية الايمانية بالحقائق الخلقية القدرية الكونية فان الله سبحانه وتعالى له الخلق والامر كما قال تعالى (إن ربكم الله الذي خلق السموات والارض في ستة أيام ثم استوى على العرش يغشي الليل النهار يطلبه حثيثا والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره ألا له الخلق والامر تبارك الله رب العالمين) فهو سبحانه خالق كل شئ وربه ومليكه لا خالق غيره ولا رب سواه ماشاء كان وما لم يشأ لم يكن فكل مافي الوجود من حركة وسكون فبقضائه وقدره ومشيئته وقدرته وخلقه وهو سبحانه أمر بطاعته وطاعة رسله ونهى عن معصيته ومعصية رسله أمر بالتوحيد والاخلاص ونهى عن الاشراك بالله فأعظم الحسنات التوحيد وأعظم السيئات الشرك قال الله تعالى (إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر مادون ذلك لمن يشاء)وقال تعالى (ومن الناس من

يتخذ من دون الله أنداداً يحبونهم كحب الله والذين آمنوا أشد حباً لله) وفي الصحيحين عن ابن مسعود رضي الله عنه قال قلت يارسول الله أي الذنب أعظم قال أن تجعل لله ندا وهو خلقك قلت ثم أي قال ان تقتل ولدك مخافة أن يطعم معك قلت ثم أي قال أن تزني بحليلة جارك فأنزل الله تصديق ذلك (والذين لا يدعون مع الله إلهاً آخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله الا بالحق ولا يزنون ومن يفعل ذلك يلق أثاما يضاعف له العذاب يوم القيامة ويخلد فيه مهانا الا من تاب وآمن وعمل عملا صالحا فأولئك يبدل الله سيأتهم حسنات وكان الله غفوراً رحيما) وأمر سبحانه بالعدل والاحسان وإيتاء ذي القربي وينهي عن الفحشاء والمنكر والبغي وأخبر أنه يحب المتقين ويحب المحسنين ويحب المقسطين ويحب التوابين ويحب المتطهرين ويحب الذين يقاتلون في سبيله صفا كأنهم بنيان مرصوص وهو يكره مانهي عنه كما قال في سورة سبحان (كل ذلك كان سيئه عند ربك مكروها) وقد نهي عن الشرك وعقوق الوالدين وأمر بايتاء ذي القربي الحقوق ونهي عن التبذير وعن التقتير وأن يجعل يده مغلولة الى عنقه وان يبسطها كل البسط ونهى عن قتل النفس بغير الحق وعن الزنا وعن قربان مال اليتيم الا بالتي هي أحسن إلى أن قال (كل ذلك كان سيئه عند ربك مكروها) وهو سبحانه لايحب الفساد ولا يرضى لعباده الكفر والعبد مأمور أن يتوب الى الله تعالى دائما قال الله تعالى (وتوبوا الى الله جميعا أيها المؤمنون لعلكم تفلحون) وفي صحيح البخارى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال أيها الناس توبوا الى ربكم فو الذي نفسي بيده اني لأستغفر الله واتوب اليه في اليوم اكثر من سبعين مرة (وفي صحيح مسلم) عنه صلى الله عليه وسلم انه قال انه ليغان على قلبي واني لاستغفر الله في اليوم مائة

مرة وفي السنن عن ابن عمر قال كنا نعد لرسول الله صلى الله عليه وسلم
في المجلس الواحد يقول رب اغفر لي وتب علي انك انت التواب الرحيم
مائة مرة او قال اكثر من مائة مرة وقد امر الله سبحانه ان يختموا
الاعمال الصالحات بالاستغفار فكان النبي صلى الله عليه وسلم اذا سلم من
الصلاة يستغفر ثلاثا ويقول اللهم انت السلام ومنك السلام تباركت ياذا
الجلال والاكرام كما ثبت ذلك في الحديث الصحيح عنه وقد قال تعالى
(والمستغفرين بالاسحار) فأمرهم أن يقوموا بالليل ويستغفروا بالاسحار
وكذلك ختم سورة المزمل وهي سورة قيام الليل بقوله تعالى (واستغفروا
الله ان الله غفور رحيم) وكذلك قال في الحج (فاذا افضتم من عرفات
فاذكروا الله عند المشعر الحرام واذكروه كما هداكم وان كنتم من قبله
لمن الضالين ثم افيضوا من حيث افاض الناس واستغفروا الله ان الله غفور
رحيم) بل انزل سبحانه وتعالى في آخر الأمر لما غزى النبي صلى الله
عليه وسلم غزوة تبوك وهي آخر غزواته (لقد تاب الله على النبي والمهاجرين
والانصار الذين اتبعوه في ساعة العسرة من بعد ما كاد يزيغ قلوب فريق
منهم ثم تاب عليهم انه بهم رؤف رحيم وعلى الثلاثة الذين خلفوا
حتي اذا ضاقت عليهم الارض بما رحبت وضاقت عليهم انفسهم وظنوا ان
لا ملجأ من الله الا اليه ثم تاب عليهم ليتوبوا ان الله هو التواب الرحيم)
وهي آخر ما نزل من القرآن وقد قيل إن آخر سورة نزلت قوله تعالى
(اذا جاء نصر الله والفتح ورأيت الناس يدخلون في دين الله افواجا
فسبح بحمد ربك واستغفره انه كان توابا) فأمره الله تعالى ان يختم عمله
بالتسبيح والاستغفار (وفي الصحيحين) عن عائشة رضى الله عنها أنه
صلى الله عليه وسلم كان يقول في ركوعه وسجوده سبحانك اللهم ربنا

وبحمدك اللهم اغفر لي يتأول القرآن (وفي الصحيحين) عنه صلى الله
عليه وسلم أنه كان يقول اللهم اغفر لي خطيئتي وجهلي واسرافي في أمري
وما أنت أعلم به مني اللهم اغفر لي هزلي وجدي وخطئي وعمدي وكل
ذلك عندي اللهم اغفر لي ماقدمت وما أخرت وما أسررت وما أعلنت
لا إله إلا أنت (وفي الصحيحين) أن أبا بكر الصديق رضى الله عنه قال
يارسول الله علمني دعاء أدعو به في صلاتي قال قل اللهم اني ظلمت
نفسي ظلماً كثيراً ولا يغفر الذنوب إلا أنت فاغفر لي مغفرة من عندك
وارحمني انك أنت الغفور الرحيم (وفي السنن) عن أبي بكر رضى الله
عنه قال يارسول الله علمني دعاء أدعو به اذا أصبحت واذا أمسيت فقال
قل اللهم فاطر السموات والارض عالم الغيب والشهادة رب كل شي
ومليكه اشهد أن لا إله إلا أنت أعوذ بك من شر نفسي ومن شر الشيطان
وشركه وان أقترف على نفسي سوأ أو أجره الى مسلم قله اذا أصبحت
واذا أمسيت واذا أخذت مضجعك فليس لاحد أن يظن استغناءه عن
التوبة الى الله والاستغفار من الذنوب بل كل أحد محتاج الى ذلك دائما
قال الله تبارك وتعالى (وحملها الانسان انه كان ظلوما جهولا ليعذب
الله المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات ويتوب الله على المؤمنين
والمؤمنات وكان الله غفوراً رحيما) فالانسان ظالم جاهل وغاية المؤمنين
والمؤمنات التوبة (وقد) أخبر الله تعالى في كتابه بتوبة عباده الصالحين
ومغفرته لهم (وثبت في الصحيح) عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال
لن يدخل الجنة أحد بعمله قالوا ولا أنت يارسول الله قال ولا أنا الا
ان يتغمدني الله برحمة منه وفضل وهذا لاينافي قوله (كلوا واشربوا هنيئاً
بما أسلفتم في الايام الخالية) فان الرسول نفى باء المقابلة والمعادلة والقرآن

أثبت باء السبب وقول من قال اذا احب الله عبداً لم تضره الذنوب معناه انه اذا احب عبداً الهمه التوبة والاستغفار فلم يصر على الذنوب ومن ظن ان الذنوب لاتضر من اصر عليها فهو ضال مخالف للكتاب والسنة واجماع السلف والأئمة بل من يعمل مثقال ذرة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره وانما عباده الممدوحون هم المذكورون في قوله تعالى (وسارعوا الى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والارض اعدت للمتقين الذين ينفقون في السراء والضراء والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين والذين اذا فعلوا فاحشة أو ظلموا انفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفر الذنوب إلا الله ولم يصروا على مافعلوا وهم يعلمون) ومن ظن ان القدر حجة لاهل الذنوب فهو من جنس المشركين الذين قال الله تعالى عنهم (سيقول الذين اشركوا لو شاء الله ما اشركنا ولا آباؤنا ولا حرمنا من دونه من شيء) قال الله تعالى رادا عليهم (كذلك كذب الذين من قبلهم حتى ذاقوا بأسنا قل هل عندكم من علم فتخرجوه لنا إن تتبعون إلا الظن وإن انتم إلا تخرصون قل فلله الحجة البالغة فلو شاء لهداكم اجمعين) ولو كان القدر حجة لاحد لم يعذب الله المكذبين للرسل كقوم نوح وعاد وثمود والمؤتفكات وقوم فرعون ولم يأمر باقامة الحدود على المعتدين ولا يحتج احد بالقدر الا اذا كان متبعاً لهواه بغير هدى من الله ومن راى القدر حجة لاهل الذنوب يرفع عنهم الذم والعقاب فعليه ان لايذم احداً ولا يعاقبه اذا اعتدى عليه بل يستوي عنده مايوجب اللذة وما يوجب الالم فلايفرق بين من يفعل معه خيراً ولا بين من يفعل معه شراً وهذا ممتنع طبعاً وعقلا وشرعا وقد قال تعالى (ام نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين في الارض ام نجعل

المتقين كالفجار) وقال تعالى (افنجعل المسلمين كالمجرمين) وقال تعالى (ام حسب الذين اجترحوا السيئآت ان نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم ساء مايحكمون) وقال تعالى (افحسبتم انما خلقناكم عبثا وانكم الينا لاترجعون) وقال تعالي (أيحسب الانسان ان يترك سدي) اي مهملا لايؤمر ولا ينهي وقد (ثبت في الصحيحين) عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال احتج آدم وموسى قال موسى يا آدم انت ابو البشر خلقك الله بيده ونفخ فيك من روحه واسجدلك ملائكته اخرجتنا ونفسك من الجنة فقال له آدم انت موسي الذي اصطفاك الله بكلامه وكتب لك التوراة بيده فبكم وجدت مكتوبا علي قبل ان اخلق وعصي آدم ربه فغوي قال باربعين سنة قال فلم تلومني على أمر قدره الله علي قبل أن أخلق بأربعين سنة قال فحج آدم موسي أي غلبه بالحجة وهذا الحديث ضلت فيه طائفتان طائفة كذبت به لما ظنوا انه يقتضى رفع الذم والعقاب عن من عصي الله لاجل القدر وطائفة شر من هؤلاء جعلوه حجة وقد يقولون القدر حجة لاهل الحقيقة الذين شهدوه أو الذين لايرون ان لهم فعلا ومن الناس من قال إنما حجه موسى لانه أبوه أو لانه كان قد تاب أو لان الذنب كان في شريعة واللوم في أخرى أو لان هذا يكون في الدنيا دون الاخري وكل هذا باطل ولكن وجه الحديث ان موسي عليه السلام لم يلم أباه إلا لاجل المصيبة التي لحقتهم من أجل أكله من الشجرة فقال له لماذا اخرجتنا ونفسك من الجنة لم يلمه لمجرد كونه أذنب ذنباً وتاب منه فان موسى يعلم ان التائب من الذنب لايلام وهو قد تاب منه أيضاً ولو كان آدم يعتقد رفع الملام عنه لاجل القدر لم يقل (ربنا ظلمنا أنفسنا وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين) والمؤمن مأمور عند المصائب ان

يصبر ويسلم وعند الذنوب أن يستغفر ويتوب قال الله تعالى (فاصبر إن وعد
الله حق واستغفر لذنبك) فأمره بالصبر على المصائب والاستغفار من
المعائب وقال تعالى (ماأصاب من مصيبة إلا باذن الله ومن يؤمن بالله
يهد قلبه) قال ابن مسعود هو الرجل تصيبه المصيبة يعلم أنها من عند الله
فيرضى ويسلم فالمؤمنون إذا أصابتهم مصيبة مثل المرض والفقر والذل
صبروا لحكم الله وان كان ذلك بسبب ذنب غيرهم كمن أنفق أبوه ماله في
المعاصي فافتقر أولاده لذلك فعليهم أن يصبروا لما أصابهم واذا لاموا الاب
لحظوظهم ذكر لهم القدر والصبر واجب باتفاق العلماء وأعلى من ذلك
الرضا بحكم الله والرضا قد قيل انه واجب وقيل هو مستحب وهو الصحيح
وأعلى من ذلك أن يشكر الله على المصيبة لما يري من إنعام الله عليه بها
حيث جعلها سبباً لتكفير خطاياه ورفع درجاته وانابته الى الله وتضرعه
اليه وإخلاصه له في التوكل عليه ورجائه دون المخلوقين وأما أهل البغي
والضلال فتجدهم يحتجون بالقدر إذا أذنبوا واتبعوا أهواءهم ويضيفون
الحسنات الى انفسهم إذا انعم عليهم بها كما قال بعض العلماء انت عند الطاعة
قدري وعند المعصية جبري اى مذهب وافق هواك تمذهبت به واهل
الهدى والرشاد إذا فعلوا حسنة شهدوا انعام الله عليهم بها وانه هو الذي
انعم عليهم وجعلهم مسلمين وجعلهم يقيمون الصلاة والهمهم التقوى وانه
لاحول ولاقوة الا به فزال عنهم بشهود القدر العجب والمن والاذي وإذا
فعلوا سيئة استغفروا الله وتابوا اليه منها (في صحيح البخارى) عن شداد
ابن اوس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم سيد الاستغفار ان يقول
العبد اللهم انت ربي لا إله إلا انت خلقتنى وانا عبدك وانا على عهدك
ووعدك مااستطعت اعوذ بك من شر ماصنعت ابوء لك بنعمتك على وابوء

بذنبي فاغفر لى فانه لايغفر الذنوب إلا انت من قالها إذا اصبح موقنا بها
فمات من ليلته دخل الجنة (وفي الحديث الصحيح) عن ابي ذر رضي
الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم فيما يروي عن ربه تبارك وتعالى
انه قال ياعبادي انى حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرماً فلا تظالموا
ياعبادى انكم تخطؤن بالليل والنهار وانا اغفر الذنوب جميعا ولاابالى
فاستغفروني اغفر لكم ياعبادى كلكم جائع الامن أطعمته فاستطعموني
اطعمكم ياعبادي كلكم عار الامن كسوته فاستكسوني أكسكم ياعبادي
كلكم ضال الامن هديته فاستهدوني اهدكم ياعبادي انكم لن تبلغوا ضري
فتضروني ولن تبلغوا نفعي فتنفعوني ياعبادي لوان أولكم وآخركم وإنسكم
وجنكم كانوا على أتقى قلب رجل واحد منكم مازاد ذلك في ملكي شيئاً
ياعبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أفجر قلب
رجل واحد منكم مانقص ذلك من ملكي شيأ ياعبادي لوأن أولكم وآخركم
وإنسكم وجنكم اجتمعوا فى صعيد واحد فسألونى فأعطيت كل انسان
مسألته مانقص ذلك مما عندى الا كما ينقص البحر اذا غمس فيه المخيط غمسة
واحدة ياعبادى إنما هي اعمالكم احصيها لكم او فيكم اياها فمن وجد خيرا
فليحمد الله ومن وجد غير ذلك فلا يلومن الا نفسه فأمر سبحانه
بحمد الله على مايجده العبد من خير وانه اذا وجد شرا فلا يلومن الا
نفسه وكثير من الناس يتكلم بلسان الحقيقة ولايفرق بين الحقيقة
الكونية القدرية المتعلقة بخلقه ومشيئته وبين الحقيقة الدينية الامرية
المتعلقة برضاه ومحبته ولا يفرق بين من يقوم بالحقيقة الدينية موافقا
لما أمر الله به على ألسن رسله وبين من يقوم بوجده وذوقه غير معتبر
ذلك بالكتاب والسنة كما أن لفظ الشريعة يتكلم به كثير من الناس ولا

يفرق بين الشرع المنزل من عند الله تعالى وهو الكتاب والسنة الذي بعث الله به رسوله فان هذا الشرع ليس لاحد من الخلق الخروج عنه ولا يخرج عنه الا كافر وبين الشرع الذي هو حكم الحاكم فالحاكم تارة يصيب وتارة يخطيء هذا اذا كان عالماً عادلا * والا ففي السنن عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال القضاة ثلاثة قاضيان في النار وقاض في الجنة رجل علم الحق وقضى به فهو في الجنة ورجل قضي للناس على جهل فهو في النار ورجل علم الحق فقضى بغيره فهو في النار وأفضل القضاة العالمين العادلين سيد ولد آدم محمد صلى الله عليه وسلم فقد ثبت عنه في الصحيحين أنه قال انكم تختصمون الى ولعل بعضكم يكون ألحن بحجته من بعض وانما أقضي بنحو مما أسمع فمن قضيت له من حق أخيه شيأ فلا يأخذه فانما أقطع له قطعة من النار فقد أخبر سيد الخلق أنه اذا قضي بشيء مما سمعه وكان في الباطن بخلاف ذلك لم يجز للمقضي له أن يأخذ ما قضى به له وانه انما يقطع له به قطعة من النار وهذا متفق عليه بين العلماء في الاملاك المطلقة اذا حكم الحاكم بما ظنه حجة شرعية كالبينة والاقرار وكان الباطن بخلاف الظاهر لم يجز للمقضى له أن يأخذ ما قضي به له بالاتفاق وان حكم في العقود والفسوخ بمثل ذلك فأكثر العلماء يقول ان الامر كذلك وهو مذهب مالك والشافعي وأحمد بن حنبل وفرق أبو حنيفة رضي الله عنه بين النوعين فلفظ الشرع والشريعة اذا أريد به الكتاب والسنة لم يكن لاحد من أولياء الله ولا لغيرهم أن يخرج عنه ومن ظن ان لاحد من أولياء الله طريقاً الى الله غير متابعة محمد صلى الله عليه وسلم باطناً وظاهرا فلم يتابعه باطناً وظاهراً فهو كافر ومن احتج في ذلك بقصة موسى مع الخضر كان غالطا من وجهين (أحدهما) ان موسى لم يكن مبعوثا الى الخضر ولا كان على الخضر اتباعه فان موسى كان مبعوثا الى بني اسرائيل وأما محمد صلى الله عليه

وسلم فرسالته عامة لجميع الثقلين الجن والانس ولو أدركه من هو أفضل من الخضر كابراهيم وموسى وعيسي وجب عليهم اتباعه فكيف بالخضر سواء كان نبياً أو ولياً ولهذا قال الخضر لموسى أنا على علم من علم الله علمنيه الله لا تعلمه وأنت على علم من علم الله علمكه الله لا أعلمه وليس لاحد من الثقلين الذين بلغتهم رسالة محمد صلى الله عليه وسلم أن يقول مثل هذا (الثاني) ان ما فعله الخضر لم يكن مخالفاً لشريعة موسى عليه السلام وموسى لم يكن علم الاسباب التي تبيح ذلك فلما بينها له وافقه على ذلك فان خرق السفينة ثم ترقيعها لمصلحة أهلها خوفا من الظالم أن يأخذها احسان اليهم وذلك جائز وقتل الصائل جائز وان كان صغيرا ومن كان تكفيره لابويه لا يندفع الا بقتله جاز قتله (قال ابن عباس رضي الله عنهما) لنجدة الحروري لما سأله عن قتل الغلمان قال له ان كنت علمت منهم ما علمه الخضر من ذلك الغلام فاقتلهم والا فلا تقتلهم رواه البخاري وأما الاحسان الى اليتيم بلا عوض والصبر على الجوع فهذا من صالح الاعمال فلم يكن في ذلك شيء مخالفا شرع الله وأما اذا أريد بالشرع حكم الحاكم فقد يكون ظالماً وقد يكون عادلا وقد يكون صواباً وقد يكون خطأ وقد يراد بالشرع قول أئمة الفقه كأبي حنيفة والثوري ومالك بن أنس والاوزاعي والليث بن سعد والشافعي واحمد واسحق وداود وغيرهم فهؤلاء اقوالهم يحتج لها بالكتاب والسنة واذا قلد غيره حيث يجوز ذلك كان جائزا اي ليس اتباع احدهم واجباً على جميع الامة كاتباع الرسول صلى الله عليه وسلم ولا يحرم تقليد احدهم كما يحرم اتباع من يتكلم بغير علم واما ان اضاف احد الى الشريعة ما ليس منها من احاديث مفتراة او تأويل النصوص بخلاف مراد الله ونحو ذلك فهذا من نوع التبديل فيجب الفرق بين الشرع المنزل والشرع المؤول والشرع المبدل كما يفرق بين

الحقيقة الكونية والحقيقة الدينية الامرية وبين مايستدل عليها بالكتاب
والسنة وبين مايكتفي فيها بذوق صاحبها ووجده

فصل

وقد ذكر الله في كتابه الفرق بين الارادة والامر والقضا والاذن
والتحريم والبعث والارسال والكلام والجعل وبين الكوني الذى
خلقه وقدره وقضاه وان كان لم يأمر به ولا يحبه ولا يثيب اصحابه
ولا يجعلهم من اوليائه المتقين وبين الديني الذى أمر به وشرعه واثاب عليه
وا كرمهم وجعلهم من أوليائه المتقين وحزبه المفلحين وجنده الغالبين
وهذا من أعظم الفروق التي يفرق بها بين أولياء الله وأعدائه فمن
استعمله الرب سبحانه وتعالى فيما يحبه ويرضاه ومات على ذلك كان من
أوليائه ومن كان عمله فيما يبغضه الرب ويكرهه ومات على ذلك كان من
أعدائه فالارادة الكونية هي مشيئة لما خلقه وجميع المخلوقات داخلة في
مشيئته وارادته الكونية والارادة الدينية هي المتضمنة لمحبته ورضاه المتناولة
لما أمر به وجعله شرعا ودينا وهذه مختصة بالايمان والعمل الصالح قال
الله تعالى (فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للاسلام ومن يرد أن
يضله يجعل صدره ضيقاً حرجا كأنما يصعد فى السماء) وقال نوح عليه
السلام لقومه (ولا ينفعكم نصحي ان أردت أن أنصح لكم ان كان الله
يريد أن يغويكم) وقال تعالى (واذا أراد الله بقوم سوأ فلا مرد له وما لهم
من دونه من وال) وقال تعالى في الثانية (ومن كان منكم مريضاً
أو على سفر فعدة من أيام أخر يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر)
وقال في آية الطهارة (مايريد الله ليجعل عليكم من حرج ولكن يريد

ليطهركم وليتم نعمته عليكم لعلكم تشكرون) ولما ذكر ماأحله وماحرمه
من النكاح قال (يريد الله ليبين لكم ويهديكم سنن الذين من قبلكم
ويتوب عليكم والله عليم حكيم والله يريد أن يتوب عليكم ويريد الذين
يتبعون الشهوات أن تميلوا ميلا عظيما يريد الله أن يخفف عنكم وخلق
الانسان ضعيفاً) وقال لما ذكر ماأمر به أزواج النبي صلى الله عليه وسلم
وما نهاهن عنه (انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت ويطهركم
تطهيرا والمعنى انه أمركم بما يذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم
تطهيرا) فمن أطاع أمره كان مطهرا قد أذهب عنه الرجس بخلاف من
عصاه وأما الامر فقال في الامر الكوني (انما أمرنا لشئ اذا أردناه ان
نقول له كن فيكون) وقال تعالى (وما امرنا الا واحدة كلمح بالبصر)
وقال تعالى (اتاها امرنا ليلا أو نهارا فجعلناها حصيدا كأن لم تغن بالامس)
واما الامر الديني فقال تعالى (ان الله يأمر بالعدل والاحسان وايتاء ذي
القربي وينهي عن الفحشاء والمنكر والبغي يعظكم لعلكم تذكرون)
وقال تعالى (ان الله يأمركم ان تؤدوا الأمانات الى اهلها واذا حكمتم
بين الناس ان تحكموا بالعدل ان الله نعما يعظكم به ان الله كان سميعا بصيرا)
واما الاذن فقال في الكوني لما ذكر السحر (وماهم بضارين به من
احد الا باذن الله) اى بمشيئته وقدرته والا فالسحر لم يبحه الله عزوجل
وقال في الاذن الدينى (ام لهم شركاء شرعوا لهم من الدين مالم يأذن
به الله) وقال تعالى (انا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وداعيا الى الله
باذنه) وقال تعالى (وما أرسلنا من رسول الا ليطاع باذن الله) وقال
تعالى (ماقطعتم من لينة أو تركتموها قائمة على اصولها فباذن الله) * واما
القضاء فقال في الكوني (فقضاهن سبع سموات في يومين) وقال سبحانه

(اذا قضى امرا فانما يقول له كن فيكون) وقال في الديني (وقضى ربك الا تعبدوا الا اياه) أى امر وليس المراد به قدر ذلك فانه قد عبد غيره كما اخبر في غير موضع كقوله تعالى (ويعبدون من دون الله مالا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله) وقول الخليل عليه السلام لقومه (أفرايتم ما كنتم تعبدون انتم وآباؤكم الاقدمون فانهم عدولى الا رب العالمين) وقال تعالى (قد كانت لكم اسوة حسنة في ابراهيم والذى معه اذ قالوا لقومهم انا براء منكم ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء ابداً حتي تؤمنوا بالله وحده الا قول ابراهيم لابيه لاستغفرن لك وما املك لك من الله من شئ) وقال تعالى (قل يا أيها الكافرون لا اعبد ما تعبدون ولا أنتم عابدون ما أعبد ولا أنا عابد ما عبدتم ولا أنتم عابدون ما أعبد لكم دينكم ولى دين) وهذه كلمة تقتضى براءته من دينهم ولا تقتضي رضاه بذلك كما قال تعالى فى الآية الاخرى (فان كذبوك فقل لى عملى ولكم عملكم أنتم بريئون مما أعمل وأنا برىء مما تعملون) ومن ظن من الملاحدة ان هذا رضاء منه بدين الكفار فهو من أكذب الناس وأكفرهم كمن ظن ان قوله (وقضى ربك) بمعنى قدر وان الله سبحانه ماقضى بشئ الا وقع وجعل عباد الاصنام ماعبدوا الا الله فان هذا من أعظم الناس كفراً بالكتب وأما لفظ البعث فقال تعالى في البعث الكوني (فاذا جاء وعد أولاهما بعثنا عليكم عباداً لنا أولى بأس شديد فجاسوا خلال الديار وكان وعداً مفعولا وقال فى البعث الديني (هو الذي بعث في الاميين رسولا منهم يتلوا عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة) وقال تعالى (ولقد بعثنا في كل امة رسولا ان اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت) واما لفظ

الارسال فقال فى الارسال الكوني (ألم تر أنا أرسلنا الشياطين على الكافرين تؤزهم أزا) وقال تعالى (وهو الذي أرسل الرياح بشرا بين يدي رحمته) وقال فى الديني (إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيرا) وقال تعالى (إنا أرسلنا نوحا الى قومه) وقال تعالى (إنا أرسلنا اليكم رسولا شاهداً عليكم كما أرسلنا إلى فرعون رسولا) وقال تعالى (الله يصطفي من الملائكة رسلا ومن الناس) وأما لفظ الجعل فقال في الكوني (وجعلناهم أئمة يدعون الى النار) وقال في الديني (لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا) وقال تعالى (ماجعل الله من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام) وأما لفظ التحريم فقال في الكوني (وحرمنا عليه المراضع من قبل) وقال تعالى (فانها محرمة عليهم أربعين سنة يتيهون في الارض) وقال في الديني (حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به) وقال تعالى (حرمت عليكم أمهاتكم وبناتكم وأخواتكم وعماتكم وخالاتكم وبنات الأخ وبنات الأخت الآية) وأما لفظ الكلمات فقال في الكلمات الكونية (وصدقت بكلمات ربها وكتبه) (وثبت في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان يقول أعوذ بكلمات الله التامة كلها من شر ماخلق ومن غضبه وعقابه وشر عباده ومن همزات الشياطين وأن يحضرون وقال صلى الله عليه وسلم من نزل منزلا فقال أعوذ بكلمات الله التامات من شر ماخلق لم يضره شئ حتى يرتحل من منزله ذلك وكان يقول أعوذ بكلمات الله التامات التي لايجاوزهن بر ولا فاجر ومن شر ماذرأ في الارض ومن شر مايخرج منها ومن شر فتن الليل والنهار ومن شر كل طارق إلا طارقا يطرق بخير يارحمن وكلمات الله التامات التي لايجاوزهن بر ولا فاجر هي التي كون بها الكائنات فلايخرج

بر ولا فاجر عن تكوينه ومشيئته وقدرته وأما كلماته الدينية وهي كتبه
المنزلة وما فيها من أمره ونهيه فأطاعها الأبرار وعصاها الفجار وأولياء
الله المتقون هم المطيعون لكلماته الدينيـة وجعله الديني وإذنه الديني
وإرادته الدينيـة وأما كلمـاته الكونية التي لايجاوزها بر ولا فاجر فانه
يدخل تحتها جميع الخلق حتى إبليس وجنوده وجميع الكفار وسائر
من يدخل النار فالخلق وإن اجتمعوا في شمول الخلق والمشيئة والقدرة
والقدر لهم فقد افترقوا في الامر والنهي والمحبة والرضا والغضب وأولياء
الله المتقون هم الذين فعلوا المأمور وتركوا المحظور وصبروا على المقدور
فأحبهم وأحبوه ورضي عنهم ورضوا عنه وأعداؤه أولياء الشياطين وإن
كانوا تحت قدرته فهو يبغضهم ويغضب عليهم ويلعنهم ويعاديهم وبسط
هذه الجمل له موضع آخر وإنما كتبت هنا تنبيها على مجامع الفرق بين
أولياء الرحمن وأولياء الشيطان وجمع الفرق بينهـما إعتبارهم بموافقة
رسول الله صلى الله عليه وسلم فانه هو الذي فرق الله تعالى به بين
أوليائه السعداء وأعدائه الأشقياء وبين أوليائه أهل الجنة وأعدائه
أهل النار وبين أوليائه أهل الهدى والرشاد وبين أعدائه أهل الغي
والضلال والفساد وأعدائه حزب الشيطان وأوليائه الذين كتب في
قلوبهم الايمان وأيدهم بروح منه قال تعالى (لاتجد قوماً يؤمنون بالله
واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله الآية) وقال تعالى (إذ
يوحي ربك إلى الملائكة أني معكم فثبتوا الذين آمنوا سألقي في قلوب
الذين كفروا الرعب فاضربوا فوق الأعناق واضربوا منهم كل بنان)
وقال في أعدائه (وإن الشياطين ليوحون إلى أوليائهم ليجادلوكم)
وقال (وكذلك جعلنا لكل نبي عدواً شياطين الانس والجن يوحي

بعضهم إلى بعض زخرف القول غرورا) وقال (هل أنبئكم على من تنزل
الشياطين تنزل على كل أفاك أثيم يلقون السمع وأكثرهم كاذبون والشعراء
يتبعهم الغاوون ألم تر أنهم في كل واد يهيمون وأنهم يقولون مالايفعلون
إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيراً وانتصروا من بعد
ماظلموا وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون) وقال تعالى (فلاأقسم
بما تبصرون وما لاتبصرون إنه لقول رسول كريم وما هو بقول شاعر
قليلا ماتؤمنون ولا بقول كاهن قليلا ماتذكرون تنزيل من رب العالمين
ولو تقول علينا بعض الاقاويل لأخذنا منه باليمين ثم لقطعنا منه الوتين فما
منكم من أحد عنه حاجزين وانه لتذكرة للمتقين وإنا لنعلم أن منكم
مكذبين وإنه لحسرة على الكافرين وإنه لحق اليقين فسبح باسم ربك
العظيم) وقال تعالى (فذكر فما أنت بنعمت ربك بكاهن ولامجنون) الى
قوله (ان كانوا صادقين) فنزه سبحانه وتعالى نبينا محمدا صلى الله عليه
وسلم عن من تقترن به الشياطين من الكهان والشعراء والمجانين وبين ان
الذي جاءه بالقرآن ملك كريم اصطفاه قال الله تعالى (الله يصطفي من
الملائكة رسلا ومن الناس) وقال تعالى (وإنه لتنزيل رب العالمين نزل به
الروح الامين على قلبك لتكون من المنذرين بلسان عربي مبين) وقال
تعالى (قل من كان عدوا لجبريل فانه نزله على قلبك باذن الله) الآية وقال
تعالى (فاذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم) الى قوله (وبشرى
للمسلمين) فسماه الروح الامين وسماه روح القدس وقال تعالى (فلا أقسم
بالخنس الجوار الكنس) يعني الكواكب التي تكون في السماء خانسة أي
مختفية قبل طلوعها فاذا ظهرت رآها الناس جارية في السماء فاذا غربت ذهبت
إلى كناسها الذي يحجبها (والليل اذا عسعس)أي اذا أدبر وأقبل الصبح

(والصبح إذا تنفس) أي أقبل (انه لقول رسول كريم) وهو جبريل عليه السلام (ذي قوة عند ذي العرش مكين مطاع ثم أمين) أي مطاع في السماء أمين ثم قال (وما صاحبكم بمجنون) أي صاحبكم الذى من الله عليكم به اذ بعثه اليكم رسولا من جنسكم يصحبكم اذ كنتم لا تطيقون ان تروا الملائكة كما قال تعالى (وقالوا لولا أنزل عليه ملك ولو أنزلنا ملكا لقضي الامر ثم لا ينظرون ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا الآية) وقال تعالى (ولقد رآه بالافق المبين) أى رأى جبريل عليه السلام (وماهو على الغيب بظنين) أي بمتهم وفي القراءة الاخرى بضنين أي بخيل يكتم العلم ولا يبذله الا بجعل كما يفعل من يكتم العلم الا بالعوض (وماهو بقول شيطان رجيم) فنزه جبريل عليه السلام عن أن يكون شيطانا كما نزه محمدا صلى الله عليه وسلم عن أن يكون شاعرا أو كاهنا (فأولياء الله المتقون) هم المقتدون بمحمد صلى الله عليه وسلم فيفعلون ما أمر به وينتهون عما عنه زجر ويقتدون به فيما بين لهم أن يتبعوه فيه فيؤيدهم بملائكته وروح منه ويقذف الله في قلوبهم من أنواره ولهم الكرامات التي يكرم الله بها أولياءه المتقين وخيار أولياء الله كراماتهم الحجة في الدين أو الحاجة بالمسلمين كما كانت معجزات نبيهم صلى الله عليه وسلم كذلك (وكرامات أولياء الله) انما حصلت ببركة اتباع رسوله صلى الله عليه وسلم فهي في الحقيقة تدخل في معجزات الرسول صلى الله عليه وسلم مثل انشقاق القمر وتسبيح الحصا في كفه وإتيان الشجر اليه وحنين الجذع اليه واخباره ليلة المعراج بصفة بيت المقدس واخباره بما كان ومايكون واتيانه بالكتاب العزيز وتكثير الطعام والشراب مرات كثيرة كما أشبع في الخندق العسكر من قدر طعام وهو لم ينقص في حديث أم سلمة المشهور وروي العسكر في غزوة خيبر من مزادة ماء ولم تنقص

وملأ أوعية العسكر عام تبوك من طعام قليل ولم ينقص وهم نحو ثلاثين ألفا ونبع الماء من بين أصابعه مرات متعددة حتي كفى الناس الذين كانوا معه كما كانوا في غزوة الحديبية نحو ألف وأربعمائة أو خمسمائة ورده لعين أبي قتادة حين سالت على خده فرجعت أحسن عينيه ولما أرسل محمد بن مسلمة لقتل كعب بن الاشرف فوقع وانكسرت رجله فمسحها فبرئت وأطعم من شواء مائة وثلاثين رجلا كلا منهم حز له قطعة وجعل منها قطعتين فأكلوا منها جميعهم ثم فضل فضلة ودين عبد الله أبي جابر لليهودى وهو ثلاثون وسقا قال جابر فأمر صاحب الدين ان يأخذ التمر جميعه بالذي كان له فلم يقبل فمشي فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال لجابر جدله فوفاه الثلاثين وسقا وفضل سبعة عشر وسقا مثل هذا كثير قد جمعت نحو ألف معجزة (وكرامات) الصحابة والتابعين بعدهم وسائر الصالحين كثيرة جدا مثل ما كان اسيد بن حضير يقرأ سورة الكهف فنزل من السماء مثل الظلة فيها أمثال السرج وهي الملائكة نزلت لقراءته (وكانت) الملائكة تسلم على عمران بن حصين (وكان) سلمان وأبو الدرداء يأكلان في صحفة فسبحت الصحفة أو سبح ما فيها (وعباد بن بشر وأسيد بن حضير) خرجا من عند رسول رسول الله صلي الله عليه وسلم في ليلة مظلمة فاضاء لهما نور مثل طرف السوط فلما افترقا افترق الضوء معهما رواه البخارى وغيره (وقصة الصديق في الصحيحين) لما ذهب بثلاثة أضياف معه الى بيته وجعل لا يأكل لقمة الا ربي من أسفلها أكثر منها فشبعوا وصارت أكثر مما هى قبل ذلك فنظر اليها أبو بكر وامرأته فاذا هى أكثر مما كانت فرفعها الى رسول الله صلى الله عليه وجاء اليه أقوام كثيرون فأكلوا منها وشبعوا (وخبيب بن عدى) كان

أسيرا عند المشركين بمكة شرفها الله تعالى وكان يؤتي بعنب يأكله وليس بمكة عنبة (وعامر بن فهيرة) قتل شهيدا فالتمسوا جسده فلم يقدروا عليه وكان لما قتل رفع فرآه عامر بن الطفيل وقد رفع وقال عروة فيرون الملائكة رفعته (وخرجت أم أيمن) مهاجرة وليس معها زاد ولا ماء فكادت تموت من العطش فلما كان وقت الفطر وكانت صائمة سمعت حسا على رأسها فرفعته فاذا دلو معلق فشربت منه حتي رويت وما عطشت بقية عمرها (وسفينة) مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم أخبر الاسد بانه رسول رسول الله صلى الله عليه وسلم فمشى معه الاسد حتي أوصله مقصده (والبراء بن مالك) كان اذا أقسم على الله تعالى أبر قسمه وكان الحرب إذا اشتد على المسلمين في الجهاد يقولون يابراء اقسم على ربك فيقول يارب اقسمت عليك لما منحتنا أكتافهم فيهزم العدو فلما كان يوم القادسية قال أقسمت عليك يارب لما منحتنا أكتافهم وجعلتني أول شهيد فمنحوا أكتافهم وقتل البراء شهيدا (وخالد بن الوليد) حاصر حصنا منيعا فقالوا لانسلم حتي تشرب السم فشربه فلم يضره (وسعيد بن أبي وقاص) كان مستجاب الدعوة مادعي قط الا استجيب له وهو الذي هزم جنود كسري وفتح العراق (وعمر بن الخطاب) لما أرسل جيشا أمر عليهم رجلا يسمى سارية فبينما عمر يخطب فجعل يصيح على المنبر ياسارية الجبل ياسارية الجبل فقدم رسول الجيش فسأله فقال ياأمير المومنين لقينا عدوا فهزمونا فاذا بصائح ياسارية الجبل ياسارية الجبل فاسندنا ظهورنا بالجبل فهزمهم الله (ولما عذبت الزبيرة) على الاسلام في الله فابت الا الاسلام وذهب بصرها قال المشركون أصاب بصرها اللات والعزي قالت كلا والله فرد الله عليها بصرها (ودعا سعيد ابن زيد) على أروي بنت الحكم فاعمي بصرها لما كذبت عليه فقال اللهم

ان كانت كاذبة فاعم بصرها واقتلها في ارضها فعميت ووقعت في حفرة من ارضها فماتت (والعلاء بن الحضرمي) كان عامل رسول الله صلى الله عليه وسلم على البحرين وكان يقول في دعائه ياعليم ياحليم ياعلي ياعظيم فيستجاب له ودعا الله بان يسقوا ويتوضؤا لما عدموا الماء والاسقا لما بعدهم فاجيب ودعا الله لما اعترضهم البحر ولم يقدروا على المرور بخيولهم فمروا كلهم على الماء ماابتلت سروج خيولهم ودعا الله ان لايروا جسده اذا مات فلم يجدوه في اللحد وجري مثل ذلك لابي مسلم الخولاني الذي القي في النار فانه مشى هو ومن معه من العسكر على دجلة وهي ترمي بالخشب من مدها ثم التفت الى اصحابه فقال تفقدون من متاعكم شيئا حتي ادعو الله عزوجل فيه فقال بعضهم فقدت مخلاة فقال اتبعني فتبعه فوجدها قد تعلقت بشئ فاخذها وطلبه الاسود العنسي لما ادعي النبوة فقال له أتشهد أني رسول الله قال ماأسمع قال أتشهد أن محمدا رسول الله قال نعم فامر بنار فالقي فيها فوجدوه قائما يصلي فيها وقدصارت عليه بردا وسلاما وقدم المدينة بعد موت النبي صلي الله عليه وسلم فاجلسه عمر بينه وبين أبي بكر الصديق رضي الله عنهما وقال الحمد لله الذي لم يمتني حتى أري من أمة محمد صلى الله عليه وسلم من فعل به كما فعل بابراهيم خليل الله ووضعت له جاريته السم في طعامه فلم يضره وخببت امرأة عليه زوجته فدعا عليها فعميت وجاءت وتابت فدعا لها فرد الله عليها بصرها (وكان عامر بن عبدقيس) يأخذ عطاءه ألفين درهم في كمه وما يلقاه سائل في طريقه الا أعطاه بغير عدد ثم يجيء الى بيته فلا يتغير عددها ولا وزنها ومر بقافلة قد حبسهم الاسد فجاء حتى مس بثيابه الاسد ثم وضع رجله على عنقه وقال انما أنت كلب من كلاب الرحمن واني

أستحي من الله ان أخاف شيئاً غيره ومرت القافلة ودعا الله تعالى ان يهون عليه الطهور في الشتاء فكان يؤتي بالماء له بخار ودعا ربه أن يمنع قلبه من الشيطان وهو في الصلاة فلم يقدر عليه (وتغيب الحسن البصري) عن الحجاج فدخلوا عليه ست مرات فدعا الله عز وجل فلم يروه ودعا على بعض الخوارج كان يؤذيهم فخر ميتا (وصلة بن أشيم) مات فرسه وهو في الغزو فقال اللهم لا تجعل لمخلوق على منة ودعا الله عز وجل فأحيا له فرسه فلما وصل الى بيته قال يابنى خذ سرج الفرس فانه عارية فاخذ سرجه فمات الفرس وجاع مرة بالاهواز فدعا الله عز وجل واستطعمه فوقعت خلفه دوخلة رطب في ثوب حرير فاكل التمر وبقى الثوب عند زوجته زمانا وجاءه الاسد وهو يصلى في غيضة بالليل فلما سلم قال له اطلب الرزق من غير هذا الموضع فولى الاسد وله زئير (وكان سعيد بن المسيب) في أيام الحرة يسمع الاذان من قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم في أوقات الصلوات وكان المسجد قد خلا فلم يبق غيره (ورجل من النخع) كان له حمار فمات في الطريق فقال له اصحابه هلم نتوزع متاعك على رحالنا فقال لهم أمهلوني هنيئة ثم توضأ فأحسن الوضوء وصلى ركعتين ودعا الله تعالى فأحيا له حماره فحمل عليه متاعه (ولما مات أويس القرني) وجدوا في ثيابه أكفاناً لم تكن معه قبل ووجدوا له قبراً محفوراً فيه لحد في صخرة فدفنوه فيه وكفنوه في تلك الاثواب (وكان عمرو بن عقبة بن فرقد) يصلي يوماً في شدة الحر فاظلته غمامة وكان السبع يحميه وهو يرعى ركاب أصحابه لانه كان يشترط على أصحابه في الغزو أنه يخدمهم (وكان مطرف بن عبد الله بن الشخير) اذا دخل بيته سبحت معه آنيته وكان هو وصاحب له يسيران في ظلمة فاضاء لهما طرف السوط

(ولما مات الاحنف بن قيس) وقعت قلنسوة رجل في قبره فاهوى ليأخذها فوجد القبر قد فسح فيه مد البصر (وكان ابراهيم التيمي) يقيم الشهر والشهرين لا يأكل شيئاً وخرج يمتار لاهله طعاماً فلم يقدر عليه فمر بسهلة حمراء فاخذ منها ثم رجع الى أهله ففتحها فاذا هي حنطة حمراء فكان اذا زرع منها تخرج السنبلة من أصلها الى فرعها حبا متراكبا (وكان عتبة الغلام) سأل ربه ثلاث خصال صوتاً حسناً ودمعاً غزيراً وطعاماً من غير تكلف فكان اذا قرأ بكى وأبكى ودموعه جارية دهره وكان يأوى الى منزله فيصيب فيه قوته ولا يدري من أين يأتيه (وكان عبد الواحد بن زيد) أصابه الفالج فسأل ربه أن يطلق له اعضاءه وقت الوضوء فكان وقت الوضوء تطلق له اعضاؤه ثم تعود بعده وهذا باب واسع قد بسط الكلام على كرامات الاولياء في غير هذا الموضع وأما ما نعرفه نحن عياناً ونعرفه في هذا الزمان فكثير ومما ينبغي ان يعرف ان الكرامات قد تكون بحسب حاجة الرجل فاذا احتاج اليها الضعيف الايمان أو المحتاج أتاه منها مايقوي ايمانه ويسد حاجته ويكون من هو أكمل ولاية لله منه مستغنياً عن ذلك فلا يأتيه مثل ذلك لعلو درجته وغناه عنها لا لنقص ولايته ولهذا كانت هذه الامور في التابعين أكثر منها في الصحابة بخلاف من يجري على يديه الخوارق لهدي الخلق ولحاجتهم فهؤلاء اعظم درجة وهذا بخلاف الاحوال الشيطانية مثل حال عبد الله بن صياد الذي ظهر في زمن النبي صلى الله عليه وسلم وكان قد ظن بعض الصحابة أنه الدجال وتوقف النبي صلى الله عليه وسلم في أمره حتي تبين له فيما بعد أنه ليس هو الدجال لكنه كان من جنس الكهان قال له النبي صلى الله عليه وسلم قد خبأت لك خبأ قال الدخ الدخ وقد كان خبأ له سورة الدخان فقال له

النبي صلى الله عليه وسلم اخس فلن تعدو قدرك يعني إنما أنت من إخوان
الكهان والكهان كان يكون لاحدهم القرين من الشياطين يخبره بكثير من
المنيبات بما يسترقه من السمع وكانوا يخلطون الصدق بالكذب كما في
الحديث الصحيح الذي رواه البخاري وغيره أن النبي صلى الله عليه
وسلم قال ان الملائكة تنزل في العنان وهو السحاب فتذكر الامر قضى في
السماء فتسترق الشياطين السمع فتوحيه إلى الكهان فيكذبون معها مائة
كذبة من عند أنفسهم (وفي الحديث) الذي رواه مسلم عن ابن عباس
رضى الله عنهما قال بينما النبي صلى الله عليه وسلم في نفر من الانصار اذ رمي
بنجم فاستنار فقال النبي صلى الله عليه وسلم ما كنتم تقولون لمثل هذا فى
الجاهلية اذا رأيتموه قالوا كنا نقول يموت عظيم او يولد عظيم قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم فانه لا يرمي بها لموت احد ولا لحياته ولكن ربنا تبارك
وتعالى اذا قضى أمراً سبح حملة العرش ثم سبح أهل السماء الذين يلونهم ثم
الذين يلونهم حتي يبلغ التسبيح أهل هذه السماء ثم يسأل أهل السماء السابعة
حملة العرش ماذا قال ربنا فيخبرونهم ثم يستخبر اهل كل سماء حتي يبلغ الخبر
اهل السماء الدنيا وتخطف الشياطين السمع فيرمون فيقذفونه الى اوليائهم
فما جاؤا به على وجهه فهو حق ولكنهم يزيدون (وفي رواية) قال
معمر قلت للزهري أكان يرمي بها في الجاهلية قال نعم ولكنها غلظت
حين بعث النبي صلى الله عليه وسلم (والاسود العنسي) الذي ادعي النبوة
كان له من الشياطين من يخبره ببعض الأمور المغيبة فلما قاتله المسلمون
كانوا يخافون من الشياطين ان يخبروه بما يقولون فيه حتى أعانتهم عليه
امرأته لما تبين لها كفره فقتلوه (وكذلك مسيلمة الكذاب) كان معه من
الشياطين من يخبره بالمغيبات ويعينه على بعض الامور وأمثال هؤلاء كثيرون

مثل الحرث الدمشقي الذى خرج بالشام زمن عبد الملك بن مروان
وادعى النبوة وكانت الشياطين يخرجون رجليه من القيد وتمنع السلاح
أن ينفذ فيه وتسبح الرخامة اذا مسحها بيده وكان يري الناس رجالا
وركباناً على خيل في الهوي ويقول هي الملائكة وانما كانوا جناً ولما أمسكه
المسلمون ليقتلوه طعنه الطاعن بالرمح فلم ينفذ فيه فقال له عبد الملك إنك
لم تسم الله فسمي الله فطعنه فقتله وهكذا أهل الاحوال الشيطانية تنصرف
عنهم شياطينهم اذا ذكر عندهم ما يطردها مثل آية الكرسي (فانه قد
ثبت) فى الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم في حديث أبي هريرة
رضى الله عنه لما وكله النبي صلى الله عليه وسلم بحفظ زكاة الفطر فسرق
منه الشيطان ليلة بعد ليلة وهو يمسكه فيتوب فيطلقه فيقول له النبي صلى
الله عليه وسلم ما فعل أسيرك البارحة فيقول زعم أنه لا يعود فيقول
كذبك وانه سيعود فلما كان في المرة الثالثة قال دعني حتي أعلمك ما ينفعك
اذا أويت الى فراشك فاقرأ آية الكرسي (الله لا إله إلا هو الحي القيوم)
الى آخرها فانه لن يزال عليك من الله حافظ ولا يقربك شيطان حتي
تصبح فلما أخبر النبي صلى الله عليه وسلم قال صدقك وهو كذوب وأخبره
انه شيطان ولهذا اذا قرأها الانسان عند الاحوال الشيطانية بصدق
أبطلتها مثل من يدخل النار بحال شيطاني أو يحضر سماع المكاء والتصدية
فتنزل عليه الشياطين وتتكلم على لسانه كلاما لا يعلم وربما لا يفقه وربما
كاشف بعض الحاضرين بما في قلبه وربما تكلم بألسنة مختلفة كما يتكلم
الجني على لسان المصروع والانسان الذى حصل له الحال لا يدرى بذلك
بمنزلة المصروع الذي يتخبطه الشيطان من المس ولبسه وتكلم على لسانه
فاذا أفاق لم يشعر بشيء مما قال ولهذا قد يضرب المصروع وذلك الضرب

لا يؤثر فى الانسى ويخبر اذا افاق انه لم يشعر بشي لان الضرب كان على الجني الذي لبسه ومن هؤلاء من يأتيه الشيطان باطعمة وفواكه وحلوى وغير ذلك مما لا يكون في ذاك الموضع ومنهم من يطير به الجني الى مكة أو بيت المقدس أو غيرهما ومنهم من يحمله عشية عرفة ثم يعيده من ليلته فلا يحج حجاً شرعياً بل يذهب بثيابه ولا يحرم اذا حاذى الميقات ولا يلبي ولا يقف بمزدلفة ولا يطوف بالبيت ولا يسعي بين الصفا والمروة ولا يرمي الجمار بل يقف بعرفة بثيابه ثم يرجع من ليلته وهـذا ليس بحج فقال ألا تكتبوني فقالوا لست من الحجاج يعني حجا شرعيا وبين كرامات الاولياء وما يشبهها من الأحوال الشيطانيـة فروق متعددة منها أن كرامات الاولياء سببها الايمان والتقوي والاحوال الشيطانية سببها ما نهى الله عنه ورسوله وقد قال تعالى (قل انما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن والاثم والبغي بغير الحق وان تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون) فالقول على الله بغير علم والشرك والظلم والفواحش قد حرمها الله تعالى ورسوله فلا تكون سببا لكرامة الله تعالى بالكرامات عليها فاذا كانت لا تحصل بالصلاة والذكر وقراءة القرآن بل تحصل بما يحبه الشيطان وبالامور التي فيها شرك كالاستغاثة بالمخلوقات أو كانت مما يستعان بها على ظلم الخلق وفعل الفواحش فهى من الاحوال الشيطانية لا من الكرامات الرحمانية ومن هؤلاء من إذا حضر سماع المكاء والتصدية يتنزل عليه شيطانه حتي يحمله في الهوي ويخرجه من تلك الدار فاذا حصل رجل من أولياء الله تعالى طرد شيطانه فيسقط كما جرى هذا لغير واحد ومن هؤلاء من يستغيث بمخلوق اما حي أو ميت سواء كان ذلك الحي مسلما أو نصرانيا أو مشركا

فيتصور الشيطان بصورة ذلك المستغاث به ويقضى بعض حاجـة ذلك المستغيث فيظن أنه ذلك الشخص أو هو ملك على صورته وانمـا هو شيطان أضله لما أشرك بالله كما كانت الشياطين تدخل الاصنام وتكلم المشركين ومن هؤلاء من يتصور له الشيطان ويقول له أنا الخضر وربما أخبره ببعض الامور واعانه على بعض مطالبه كما قد جرى ذلك لغير واحد من المسلمين واليهود والنصاري وكثير من الكفار بأرض المشرق والمغرب يموت لهم الميت فيأتي الشيطان بعد موته على صورته وهم يعتقدون انه ذلك الميت ويقضى الديون ويرد الودائع ويفعل أشياء تتعلق بالميت ويدخل الى زوجته ويذهب وربما يكونون قد احرقوا ميتهم بالنار كما تصنع كفار الهند فيظنون انه عاش بعد موته ومن هؤلاء شيخ كان بمصر أوصي خادمه فقال اذا أنا مت فلا تدع أحداً يغسلني فانا أجيء واغسل نفسي فلما مات رأي خادمه شخصاً في صورته فاعتقد انه هو دخل وغسل نفسه فلما قضى ذلك الداخل غسله أى غسل الميت غاب وكان ذلك شيطاناً وكان قد أضل الميت وقال انك بعد الموت تجئ فتغسل نفسك فلما مات جاء أيضاً في صورته ليغوى الاحياء كما أغوي الميت قبل ذلك ومنهم من يرى عرشاً في الهوى وفوقه نور ويسمع من يخاطبه ويقول انا ربك فان كان من أهل المعرفة علم انه شيطان فزجره واستعاذ بالله منه فيزول ومنهم من يري اشخاصاً في اليقظة يدعي أحدهم انه نبي او صديق أو شيخ من الصالحين وقد جرى هذا لغير واحد ومنهم من يري فى منامه ان بعض الاكابر اما الصديق رضى الله عنه أو غيره قد قص شعره او حلقه او البسه طاقيته او ثوبه فيصبح وعلى رأسه طاقية وشعره محلوق او مقصر وانما الجن قد حلقوا شعره او قصروه وهذه الاحوال الشيطانية

تحصل لمن خرج عن الكتاب والسنة وهم درجات ، والجن الذين يقترنون
بهم من جنسهم وهم على مذهبهم والجن فيهم الكافر والفاسق والمخطئ
فان كان الانسى كافراً او فاسقاً او جاهلا دخلوا معه في الكفر والفسوق
والضلال وقد يعاونوه اذا وافقهم على مايختارونه من الكفر مثل الاقسام
عليهم باسماء من يعظمونه من الجن وغيرهم ومثل ان يكتب اسماء الله
او بعض كلامه بالنجاسة أو يقلب فاتحة الكتاب أو سورة الاخلاص أو آية
الكرسى أو غيرهن ويكتبهن بنجاسة فيغورون له الماء وينقلونه بسبب
مايرضيهم به من الكفر وقد يأتونه بما يهواه من امرأة أو صبي أما في الهواء
واما مدفوعا ملجأ اليه الي أمثال هذه الامور التى يطول وصفها والايمان
بها ايمان بالجبت والطاغوت والجبت السحر والطاغوت الشياطين
والاصنام وان كان الرجل مطيعا لله ورسوله باطنا وظاهراً لم يمكنهم
الدخول معه في ذلك أو مسالمته ولهذا لما كانت عبادة المسلمين المشروعة
في المساجد التي هي بيوت الله كان عمار المساجد أبعد عن الاحوال الشيطانية
وكان أهل الشرك والبدع يعظمون القبور ومشاهد الموتي فيدعون الميت
أو يدعون به أو يعتقدون ان الدعاء عنده مستجاب أقرب الى الاحوال
الشيطانية فانه ثبت في الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال لعن
الله اليهود والنصاري اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد (وثبت) في صحيح
مسلم عنه أنه قال قبل أن يموت بخمس ليال ان من أمن الناس على في صحبته
وذات يده أبو بكر ولو كنت متخذا خليلا من أهل الارض لاتخذت أبا
بكر خليلا ولكن صاحبكم خليل الله لايبقين في المسجد خوخة الاسدت
الا خوخة أبي بكر ان من كان قبلكم يتخذون القبور مساجد ألا فلا تتخذوا
القبور مساجد فاني أنهاكم عن ذلك (وفي الصحيحين عنه) أنه ذكر له

في مرضه كنيسة بارض الحبشة وذكروا من حسنها وتصاوير فيها فقال ان أولئك
اذا مات فيهم الرجل الصالح بنوا على قبره مسجدا وصوروا فيها تلك التصاوير
أولئك شرار الخلق عند الله يوم القيامة (وفي) المسند وصحيح أبي حاتم
عنه صلى الله عليه وسلم قال ان من شرار الخلق من تدركهم الساعة وهم
أحياء والذين اتخذوا القبور مساجد (وفي الصحيح عنه صلى الله عليه
وسلم) أنه قال لاتجلسوا على القبور ولا تصلوا اليها (وفي الموطأ) عنه انه قال
اللهم لاتجعل قبرى وثنا يعبد اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم
مساجد (وفي السنن) عنه أنه قال لاتتخذوا قبري عيداً وصلوا على حيث
ما كنتم فان صلاتكم تبلغني (وقال صلى الله عليه وسلم) مامن رجل
يسلم على الارد الله على روحي حتى أرد عليه السلام (وقال صلى الله عليه
عليه وسلم) ان الله وكل بقبري ملائكة يبلغوني عن أمتي السلام (وقال
صلى الله عليه وسلم) أكثروا على من الصلاة يوم الجمعة وليلة الجمعة فان صلاتكم
معروضة على قالوا يارسول الله كيف تعرض صلاتنا عليك وقد أرمت أي يقولون
بليت فقال ان الله حرم على الارض أن تأكل لحوم الانبياء وقد قال الله تعالى في
كتابه عن المشركين من قوم نوح عليه السلام وقالوا (لاتذرن آلهتكم ولاتذرن
وداً ولا سواعا ولا يغوث ويعوق ونسرا) قال ابن عباس وغيره من
السلف هؤلاء قوم كانوا صالحين من قوم نوح فلما ماتوا عكفوا على
قبورهم ثم صوروا تماثيلهم فعبدوهم فكان هذا مبدأ عبادة الاوثان
فنهى النبي صلى الله عليه وسلم عن اتخاذ القبور مساجد ليسد باب الشرك
كما نهي عن الصلاة وقت طلوع الشمس ووقت غروبها لان المشركين
يسجدون للشمس حينئذ والشيطان يقارنها وقت الطلوع ووقت الغروب
فتكون فى الصلاة حينئذ مشابهة لصلاة المشركين فسد هذا الباب

والشيطان يضل بني آدم بحسب قدرته فمن عبد الشمس والقمر والكواكب ودعاها كما يفعل أهل دعوة الكواكب فانه ينزل عليه شيطان يخاطبه ويحدثه ببعض الامور ويسمون ذلك روحانية الكواكب وهو شيطان والشيطان وإن أعان الانسان على بعض مقاصده فانه يضره أضعاف ماينفعه وعاقبة من أطاعه الى شر الا أن يتوب الله عليه وكذلك عباد الاصنام قد تخاطبهم الشياطين وكذلك من استغاث بميت أو غائب وكذلك من دعا الميت أو دعا به أو ظن ان الدعاء عند قبره أفضل منه في البيوت والمساجد ويروون حديثا هو كذب باتفاق أهل المعرفة وهو اذا أعيتكم الامور فعليكم باصحاب القبور وانما هذا وضع من فتح باب الشرك ويوجد لاهل البدع وأهل الشرك المتشبهين بهم من عباد الاصنام والنصاري والضلال من المسلمين أحوال عند المشاهد يظنونها كرامات وهي من الشياطين مثل أن يضعوا سراويل عند القبر فيجدونه قد انعقد أو يوضع عنده مصروع فيرون شيطانه قد فارقه يفعل الشيطان هذا ليضلهم واذا قرأت آية الكرسي هناك بصدق بطل هذا فان التوحيد يطرد الشيطان ولهذا حمل بعضهم في الهواء فقال لا إله الا الله فسقط ومثل أن يرى أحدهم ان القبر قد انشق وخرج منه انسان فيظنه الميت وهو شيطان وهذا باب واسع لا يتسع له هذا الموضع ولما كان الانقطاع الى المغارات والبوادي من البدع التي لم يشرعها الله ولا رسوله صارت الشياطين كثيراً ما تأوي المغارات والجبال مثل مغارة الدم التي بجبل قاسيون وجبل لبنان الذى بساحل الشام وجبل الفتح باسوان بمصر وجبال بالروم وخراسان وجبال بالجزيرة وغير ذلك وجبل اللكام وجبل الاحيش وجبل سولان قرب اردبيل وجبل شهنك عند تبريز وجبل ماشكوا عند اقشوان

وجبل نهاوند وغير ذلك من الجبال التى يظن بعض الناس أن بها رجالا من الصالحين من الانس ويسمونهم رجال الغيب وإنما هناك رجال من الجن فالجن رجال كما أن الانس رجال قال تعالى (وانه كان رجال من الانس يعوذون برجال من الجن فزادوهم رهقاً) ومن هؤلاء يظهر من بصورة رجل شعرانى جلده يشبه جلد الماعز فيظن من لا يعرفه أنه إنسى وإنما هو جني ويقال بكل جبل من هذه الجبال الأربعون الأبدال وهؤلاء الذين يظن انهم الأبدال هم جن بهذه الجبال كما يعرف ذلك بطرق متعددة وهذا باب لايتسع هذا الموضع لبسطه وذكر مانعرفه من ذلك فانا قد رأينا وسمعنا من ذلك مايطول وصفه في هذا المختصر الذي كتب لمن سئل أن نذكر له من الكلام على أولياء الله تعالى مايعرف به جمل ذلك والناس في خوارق العادات على ثلاثة أقسام قسم يكذب بوجود ذلك لغير الأنبياء وربما صدق به مجملا وكذب مايذكر له عن كثير من الناس لكونه عنده ليس من الاولياء ومنهم من يظن كل من كان له نوع من خرق العادة كان ولياً لله وكلا الامرين خطأ ولهذا تجد أن هؤلاء يذكرون أن للمشركين وأهل الكتاب نصراء يعينونهم على قتال المسلمين وانهم من أولياء الله وأولئك يكذبون أن يكون معهم من له خرق عادة والصواب القول الثالث وهو أن معهم من ينصرهم من جنسهم لا من أولياء الله عز وجل كما قال الله تعالى (يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض ومن يتولهم منكم فانه منهم) وهؤلاء العباد والزهاد الذين ليسوا من أولياء الله المتقين المتبعين للكتاب والسنة تقترن بهم الشياطين فيكون لاحدهم من الخوارق مايناسب حاله لكن خوارق هؤلاء يعارض بعضها بعضاً واذا حصل من له تمكن من

أولياء الله تعالى أبطلها عليهم ولا بد أن يكون في أحدهم من الكذب جهلا أو عمداً ومن الاثم ما يناسب حال الشياطين المقترنة بهم ليفرق الله بذلك بين أوليائه المتقين وبين المتشبهين بهم من أولياء الشياطين قال الله تعالى (هل أنبئكم على من تنزل الشياطين تنزل على كل أفاك أثيم) والأفاك الكذاب والأثيم الفاجر ومن أعظم ما يقوي الاحوال الشيطانية سماع الغناء والملاهي وهو سماع المشركين قال الله تعالي (وما كان صلاتهم عند البيت الامكاء وتصدية) قال ابن عباس وابن عمر رضي الله عنهم وغيرهما من السلف التصدية التصفيق باليد والمكاء مثل الصفير فكان المشركون يتخذون هذا عبادة وأما النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه فعبادتهم ما أمر الله به من الصلاة والقراءة والذكر ونحو ذلك والاجتماعات الشرعية ولم يجتمع النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه على استماع غناء قط لا بكف ولا بدف ولا تواجد ولا سقطت بردته بل كان ذلك كذب باتفاق أهل العلم بحديثه وكان أصحاب النبي صلي الله عليه وسلم اذا اجتمعوا أمروا واحداً منهم أن يقرأ والباقون يستمعون وكان عمر بن الخطاب رضى الله عنه يقول لابي موسي الاشعرى ذكرنا ربنا فيقرأ وهم يستمعون ومر النبي صلى الله عليه وسلم بأبى موسى الاشعرى وهو يقرأ فقال له مررت بك البارحة وأنت تقرأ فجعلت أستمع لقراءتك فقال لو علمت أنك تستمع لحبرته لك تحبيراً أى لحسنته لك تحسيناً كما قال النبي صلى الله عليه وسلم زينوا القرآن باصواتكم وقال صلى الله عليه وسلم لله أشد أذنا أي استماعا الي الرجل الحسن الصوت بالقرآن من صاحب القينة الي قينته وقال صلى الله عليه وسلم لابن مسعود اقرأ علىّ القرآن فقال أقرأ عليك وعليك أنزل فقال اني أحب أن أسمعه من غيري فقرأت عليه سورة النساء

حتي انتهيت الي هذه الآية فكيف (إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا) قال حسبك فاذا عيناه تذرفان من البكاء ومثل هذا السماع هو سماع النبيين وأتباعهم كما ذكر الله في القرآن فقال (أولئك الذين أنعم الله عليهم من النبيين من ذرية آدم وممن حملنا مع نوح ومن ذرية إبراهيم وإسرائيل وممن هدينا واجتبينا إذا تتلي عليهم آيات الرحمن خروا سجداً وبكياً) وقال في أهل المعرفة (وإذا سمعو ما أنزل إلي الرسول تري أعينهم تفيض من الدمع مما عرفو من الحق) ومدح سبحانه أهل هذا السماع بما يحصل لهم من زيادة الايمان واقشعرار الجلد ودمع العين فقال تعالى (الله نزل أحسن الحديث كتابا متشابهاً مثاني تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله) وقال تعالى (إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيماناً وعلى ربهم يتوكلون الذين يقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون أولئك هم المؤمنون حقاً لهم درجات عند ربهم ومغفرة ورزق كريم) وأما السماع المحدث سماع الكف والدف والقصب فلم تكن الصحابة والتابعون لهم باحسان وسائر الاكابر من أئمة الدين يجعلون هذا طريقاً الي الله تبارك وتعالي ولا يعدونه من القرب والطاعات بل يعدونه من البدع المذمومة حتي قال الشافعي خلفت ببغداد شيأ أحدثته الزنادقة يسمونه التغبير يصدون به الناس عن القرآن وأولياء الله العارفون يعرفون ذلك ويعلمون ان للشيطان فيه نصيباً وافراً ولهذا تاب منه خيار من حضره منهم ومن كان أبعد عن المعرفة وعن كمال ولاية الله كان نصيب الشيطان فيه أكثر وهو بمنزلة الخمر يؤثر في النفوس أعظم من تأثير الخمر ولهذا اذا قويت سكرة أهله نزلت عليهم الشياطين وتكلمت على

ألسنة بعضهم وحملت بعضهم في الهواء وقد تحصل عداوة بينهم كما تحصل بين
شراب الخمر فتكون شياطين أحدهم أقوى من شياطين الآخر فيقتلونه
ويظن الجهال أن هذا من كرامات أولياء الله المتقين وانما هذا مبعد لصاحبه
عن الله وهو من أحوال الشياطين فان قتل المسلم لايحل الا بما أحله الله
فكيف يكون قتل المعصوم مما يكرم الله به أولياءه وانما غاية الكرامة لزوم
الاستقامة فلم يكرم الله عبدا بمثل ان يعينه على مايحبه ويرضاه ويزيده مما
يقربه اليه ويرفع به درجته وذلك أن الخوارق منها ماهو من جنس العلم
كالمكاشفات ومنها ماهو من جنس القدرة والملك كالتصرفات الخارقة
للعادات ومنها ماهو من جنس الغني من جنس مايعطاه الناس في الظاهر
من العلم والسلطان والمال والغني وجميع مايؤتيه الله لعبده من هذه الامور
ان استعان به على مايحبه الله ويرضاه ويقربه اليه ويرفع درجته ويأمره
الله به ورسوله ازداد بذلك رفعة وقربا الى الله ورسوله وعلت درجته وان
استعان به على مانهى الله عنه ورسوله كالشرك والظلم والفواحش استحق
بذلك الذم والعقاب فان لم يتداركه الله تعالي بتوبة أوحسنات ماحية وإلا
كان كامثاله من المذنبين ولهذا كثيرا مايعاقب أصحاب الخوارق تارة بسلبها
كما يعزل الملك عن ملكه ويسلب العالم علمه وتارة بسلب التطوعات
فينقل من الولاية الخاصة إلي العامة وتارة ينزل الى درجة الفساق
وتارة يرتد عن الاسلام وهذا يكون فيمن له خوارق شيطانية فان كثيرا
من هؤلاء يرتد عن الاسلام وكثيرا منهم لايعرف أن هذه شيطانية بل
يظنها من كرامات أولياء الله ويظن من يظن منهم أن الله عز وجل إذا
أعطى عبداً خرق عادة لم يحاسبه على ذلك كمن يظن أن الله إذا أعطي عبداً
ملكا ومالا وتصرفا لم يحاسبه عليه ومنهم من يستعين بالخوارق على أمور

مباحة لامأمور بها ولا منهي عنها فهذا يكون من عموم الاولياء وهم
الابرار المقتصدون وأما السابقون المقربون فاعلى من هؤلاء كما ان العبد
الرسول أعلى من النبي الملك ولما كانت الخوارق كثيرا ماينقص بها درجة
الرجل كان كثير من الصالحين يتوب من مثل ذلك ويستغفر الله تعالى
كما يتوب من الذنوب كالزنا والسرقة وتعرض على بعضهم فيسأل الله
زوالها وكلهم يأمر المريد السالك أن لايقف عندها ولا يجعلها همته ولا
يتبجح بها مع ظنهم انها كرامات فكيف اذا كانت بالحقيقة من الشياطين
تغويهم بها فاني أعرف من تخاطبه النباتات بما فيها من المنافع وإنما يخاطبه
الشيطان الذي دخل فيها وأعرف من يخاطبهم الحجر والشجر وتقول
هنيئاً لك ياولى الله فيقرأ آية الكرسي فيذهب ذلك وأعرف من يقصد
صيد الطير فتخاطبه العصافير وغيرها وتقول خذني حتى يأكلني الفقراء
ويكون الشيطان قد دخل فيها كما يدخل في الانس ويخاطبه بذلك ومنهم
من يكون في البيت وهو مغلق فيرى نفسه خارجه وهو لم يفتح وبالعكس
وكذلك فى أبواب المدينة وتكون الجن قد أدخلته وأخرجته بسرعة
أو تمر به أنوار أوتحضر عنده من يطلبه ويكون ذلك من الشياطين يتصورون
بصورة صاحبه فاذا قرأ آية الكرسي مرة بعد مرة ذهب ذلك كله
وأعرف من يخاطبه مخاطب ويقول له أنا من أمر الله ويعده بانه المهدى
الذي بشر به النبي صلى الله عليه وسلم ويظهر له الخوارق مثل أن يخطر
بقلبه تصرف في الطير والجراد في الهواء فاذا خطر بقلبه ذهاب الطير
أوالجراد يميناً وشمالا ذهب حيث أراد واذا خطر بقلبه قيام بعض المواشى
أو نومه أوذهابه حصل له ماأراد من غير حركة منه في الظاهر وتحمله
الى مكة وتأتى به وتأتيه باشخاص في صورة جميلة وتقول له هذه الملائكة

الكروبيون أرادوا زيارتك فيقول في نفسه كيف تصوروا بصورة المردان فيرفع رأسه فيجدهم بائحاً ويقول له علامة انك أنت المهدي أنك تنبت في جسدك شامة فتنبت ويراها وغير ذلك وكله من مكر الشيطان وهذا باب واسع لو ذكرت ماأعرفه منه لاحتاج الى مجلد كبير وقد قال تعالى (فأما الانسان اذاماابتلاه ربه فأكرمه ونعمه فيقول ربي أكرمن وأما اذا ماابتلاه فقدر عليه رزقه فيقول ربي أهانن) قال الله تبارك وتعالى كلا ولفظ كلا فيها زجر وتنبيه زجر عن مثل هذا القول وتنبيه على ما يخبر به ويؤمر به بعده وذلك انه ليس كل من حصل له نعم دنيوية تعد كرامة يكون الله عز وجل مكرماله بها ولا كل من قدر عليه ذلك يكون مهيناً له بذلك بل هو سبحانه يبتلى عبده بالسراء والضراء فقد يعطي النعم الدنيوية لالمن يحبه ولاهو كريم عنده ليستدرجه بذلك وقد يحمي منها من يحبه ويواليه لئلا ينقص بذلك مرتبته عنده أو يقع بسببها فيما يكرهه منه (وأيضا كرامات الاولياء) لابد أن يكون سببها الايمان والتقوي فما كان سببه الكفر والفسوق والعصيان فهو من خوارق أعداء الله لامن كرامات أولياء الله فمن كانت خوارقه لاتحصل بالصلاة والقراءة والذكر وقيام الليل والدعاء وانما تحصل عند الشرك مثل دعاء الميت والغائب أو بالفسق والعصيان وأكل المحرمات كالحيات والزنابير والخنافس والدم وغيره من النجاسات ومثل الغناء والرقص لاسيما مع النسوة الاجانب والمردان وحالة خوارقه تنقص عند سماع القرآن وتقوى عند سماع مزامير الشطيان فيرقص ليلا طويلا فاذاجاءت الصلاة صلى قاعدا أوينقر الصلاة نقر الديك وهو يبغض سماع القرآن وينفر عنه ويتكلفه ليس له فيه محبة ولاذوق ولالذة عند وجده ويحب سماع المكاء والتصدية ويجد

عنده مواجيد فهذه أحوال شيطانية وهو ممن يتناوله قوله تعالى (ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطاناً فهو له قرين) فالقرآن هو ذكر الرحمن قال الله تعالى (ومن أعرض عن ذكرى فان له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيمة أعمي قال رب لم حشرتني أعمي وقد كنت بصيراً قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسي) يعنى تركت العمل بها قال ابن عباس رضي الله عنهما تكفل الله لمن قرأ كتابه وعمل بما فيه أن لايضل في الدنيا ولا يشقى في الآخرة ثم قرأ هذه الآية

فصل

ومما يجب أن يعلم ان الله بعث محمداً صلى الله عليه وسلم الى جميع الانس والجن فلم يبق انسي ولا جني الا وجب عليه الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم واتباعه فعليه أن يصدقه فيما أخبر ويطيعه فيما أمر ومن قامت عليه الحجة برسالته فلم يؤمن به فهو كافر سواء كان انسيا او جنيا ومحمد صلى الله عليه وسلم مبعوث الى الثقلين باتفاق المسلمين وقد استمعت الجن القرآن وولوا الى قومهم منذرين لما كان النبي صلي الله عليه وسلم يصلي بأصحابه ببطن نخلة لما رجع من الطائف وأخبره الله بذلك في القرآن بقوله (واذ صرفنا اليك نفراً من الجن يستمعون القرآن فلما حضروه قالوا أنصتوا فلما قضى ولوا الى قومهم منذرين قالوا ياقومنا انا سمعنا كتابا أنزل من بعد موسي مصدقا لما بين يديه يهدي الى الحق والى طريق مستقيم ياقومنا أجيبوا داعى الله وآمنوا به يغفر لكم من ذنوبكم ويجركم من عذاب أليم ومن لايجب داعي الله فليس بمعجز في الارض وليس له من دونه أولياء أولئك في ضلال مبين) وأنزل الله تعالى بعد

ذلك (قل أوحي الي أنه استمع نفر من الجن فقالوا انا سمعنا قرآناً
عجباً يهدي الى الرشد فآمنا به ولن نشرك بربنا أحداً وأنه تعالى جد
ربنا مااتخذ صاحبة ولا ولداً وأنه كان يقول سفيهنا على الله شططا وانا
ظننا أن لن تقول الانس والجن على الله كذباوأنه كان رجال من الانس
يعوذون برجال من الجن فزادوهم رهقا) أى السفيه منا في أظهر قولي
العلماء وقال غير واحد من السلف كان الرجل من الانس اذا نزل بالوادي قال
أعوذ بعظيم هذا الوادي من شر سفهاء قومه فلما استغاثت الانس بالجن
ازدادت الجن طغياناً وكفرا كما قال تعالى (وأنه كان رجال من الانس
يعوذون برجال من الجن فزادوهم رهقا وانهم ظنوا كما ظننتم أن لن
يبعث الله أحدا وأنا لمسنا السماء فوجدناها ملئت حرساً شديداً وشهبا)
وكانت الشياطين ترمي بالشهب قبل أن ينزل القرآن لكن كانوا أحيانا
يسترقون السمع قبل أن يصل الشهاب الى أحدهم فلما بعث محمد صلى
الله عليه وسلم ملئت السماء حرساً شديداً وشهباً وصارت الشهب
مرصدة لهم قبل أن يسمعوا كما قالوا (وانا كنا نقعد منها مقاعد للسمع
فمن يستمع الآن يجد له شهابا رصدا) وقال تعالى في الآية الأخرى
(وما تنزلت به الشياطين وما ينبغي لهم وما يستطيعون انهم عن السمع
لمعزولون) قالوا (وانا لاندرى أشر أريد بمن في الارض أم أراد بهم ربهم
رشدا وانا منا الصالحون ومنا دون ذلك كنا طرائق قددا) أى على
مذاهب شتى كما قال العلماء منهم المسلم والمشرك واليهودي والنصراني والسنى
والبدعي (وإنا ظننا أن لن نعجز الله في الارض ولن نعجزه هربا) أخبروا
أنهم لايعجزونه لاان أقاموا في الارض ولا ان هربوا منه (وإنا لما
سمعنا الهدى آمنا به فمن يؤمن بربه فلا يخاف بخساً ولا رهقا وانا منا

المسلمون ومنا القاسطون) أي الظالمون يقال أقسط اذا عدل وقسط
اذا جار وظلم (فمن أسلم فأولئك تحروا رشدا) وأما القاسطون فكانوا
لجهنم حطباً وأن لو استقاموا على الطريقة لاسقيناهم ماء غدقا لنفتنهم فيه
ومن يعرض عن ذكر ربه يسلكه عذابا صعدا وأن المساجد لله فلاتدعوا
مع الله أحدا وأنه لما قام عبد الله يدعوه كادوا يكونون عليه لبدا قل انما
أدعو ربى ولا أشرك به أحدا قل اني لا أملك لكم ضراً ولا رشدا
قل اني لن يجيرني من الله أحد ولن أجد من دونه ملتحدا) أى ملجأً
ومعاذاً (الا بلاغا من الله ورسالاته ومن يعص الله ورسوله فان له نار
جهنم خالدين فيها أبدا حتي اذا رأوا مايوعدون فسيعلمون من أضعف
ناصراً وأقل عدداً) ثم لما سمعت الجن القرآن أتوا الى النبي صلى الله
عليه وسلم وآمنوا به وهم جن نصيبين كما ثبت ذلك في الصحيح من حديث
ابن مسعود وروى أنه قرأ عليهم سورة الرحمن وكان إذا قال (فبأى
آلاء ربكما تكذبان) قالوا ولا بشيء من آلائك ربنا نكذب فلك الحمد
ولما اجتمعوا بالنبي صلى الله عليه وسلم سألوه الزاد لهم ولدوابهم فقال
لكم كل عظم ذكر اسم الله عليه تجدوه أوفر مايكون لحما وكل بعرة
علف لدوابكم قال النبي صلى الله عليه وسلم فلا تستنجوا بهما فانهما زاد
لاخوانكم من الجن وهذا النهي ثابت عنه من وجوه متعددة وبذلك
احتج العلماء على النهي عن الاستنجاء بذلك وقالوا فاذا منع من الاستنجاء
بما للجن ولدوابهم فما أعد للانس ولدوابهم من الطعام والعلف أولى
وأحرى ومحمد صلى الله عليه وسلم أرسل الى جميع الانس والجن وهذا
أعظم قدرا عند الله تعالى من كون الجن سخروا لسليمان عليه السلام
فانهم سخروا له يتصرف فيهم بحكم الملك ومحمد صلى الله عليه وسلم أرسل

اليهم يأمرهم بما أمر الله به ورسوله لانه عبد الله ورسوله ومنزلة العبد الرسول فوق منزلة النبي الملك وكفار الجن يدخلون النار بالنص والاجماع وأما مؤمنوهم فجمهور العلماء على انهم يدخلون الجنة وجمهور العلماء على أن الرسل من الانس ولم يبعث من الجن رسول لكن منهم النذر وهذه المسائل لبسطها موضع آخر والمقصود هنا ان الجن مع الانس على أحوال فمن كان من الانس يأمر الجن بما أمر الله به ورسوله من عبادة الله وحده وطاعة نبيه ويأمر الانس بذلك فهذا من أفضل أولياء الله تعالى وهو في ذلك من خلفاء الرسول ونوابه ومن كان يستعمل الجن في أمور مباحة له فهو كمن استعمل الانس في أمور مباحة له وهذا كان يأمرهم بما يجب عليهم وينهاهم عما حرم عليهم ويستعملهم في مباحات له فيكون بمنزلة الملوك الذين يفعلون مثل ذلك وهذا اذا قدر انه من أولياء الله تعالى فغايته أن يكون فى عموم أولياء الله مثل النبي الملك مع العبد الرسول كسليمان ويوسف مع ابراهيم وموسي وعيسي ومحمد صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ومن كان يستعمل الجن فيما ينهى الله عنه ورسوله اما في الشرك واما في قتل معصوم الدم أو في العدوان عليهم بغير القتل كتمريضه وانسائه العلم وغير ذلك من الظلم وأما في فاحشة كجلب من يطلب فيه الفاحشة فهذا قد استعان بهم على الاثم والعدوان ثم ان استعان بهم على الكفر فهو كافر وان استعان بهم على المعاصى فهو عاص اما فاسق واما مذنب غير فاسق وان لم يكن تام العلم بالشريعة فاستعان بهم فيما يظن انه من الكرامات مثل أن يستعين بهم على الحج أو أن يطيروا به عند السماع البدعي أو أن يحملوه الى عرفات ولا يحج الحج الشرعي الذي أمر الله به ورسوله وأن يحملوه من مدينة الى مدينة ونحو ذلك فهذا مغرور

قد مكروا به وكثير من هولاء قد لا يعرف ان ذلك من الجن بل قد سمع ان أولياء الله لهم كرامات خوارق للعادات وليس عندهم من حقائق الايمان ومعرفة القرآن مايفرق به بين الكرامات الرحمانية وبين التلبيسات الشيطانية فيمكرون به بحسب اعتقاده فان كان مشركا يعبد الكواكب والاوثان أوهموه انه ينتفع بتلك العبادة ويكون قصده الاستشفاع والتوسل ممن صور ذلك الصنم على صورته من ملك أو نبي أو شيخ صالح فيظن انه يعبد ذلك النبي أو الصالح وتكون عبادته في الحقيقة للشيطان قال الله تعالى (ويوم نحشرهم جميعاً ثم نقول للملائكة أهؤلاء اياكم كانوا يعبدون قالوا سبحانك أنت ولينا من دونهم بل كانوا يعبدون الجن أكثرهم بهم مؤمنون) ولهذا كان الذين يسجدون للشمس والقمر والكواكب يقصدون السجود لها فيقارنها الشيطان عند سجودهم ليكون سجودهم له ولهذا يتمثل الشيطان بصورة من يستغيث به المشركون فان كان نصرانياً واستغاث بجرجس أو غيره جاء الشيطان في صورة جرجس أو من يستغيث به وان كان منتسباً الى الاسلام واستغاث بشيخ يحسن الظن به من شيوخ المسلمين جاء فى صورة ذلك الشيخ وان كان من مشركى الهند جاء في صورة من يعظمه ذلك المشرك ثم ان الشيخ المستغاث به ان كان ممن له خبرة بالشريعة لم يعرفه الشيطان انه تمثل لاصحابه المستغيثين به وان كان الشيخ ممن لا خبرة له بأقوالهم نقل أقوالهم له فيظن أولئك ان الشيخ سمع أصواتهم من البعد واجابهم وانما هو بتوسط الشيطان ولقد أخبر بعض الشيوخ الذين كان قد جرى لهم مثل هذا بصورة مكاشفة ومخاطبة فقال يروننى الجن شيأ براقا مثل الماء والزجاج ويمثلون له فيه مايطلب منه الاخبار به قال فاخبر الناس به ويوصلون الى

كلام من استغاث بي من أصحابي فاجيبه فيوصلون جوابي اليه ·وكان كثير من الشيوخ الذين حصل لهم كثير من هذه الخوارق اذا كذب بها من لم يعرفها وقال انكم تفعلون هذا بطريق الحيلة كما يدخل النار بحجر الطلق وقشور النارنج ودهن الضفادع وغير ذلك من الحيل الطبيعية فيعجب هؤلاء المشايخ ويقولون نحن والله لانعرف شيئاً من هذه الحيل فلما ذكر لهم الخبير انكم لصادقون في ذلك ولكن هذه الاحوال شيطانية أقروا بذلك وتاب منهم من تاب الله عليه لما تبين لهم الحق وتبين لهم من وجوه انها من الشيطان ورأوا انها من الشياطين لما رأوا انها تحصل بمثل البدع المذمومة في الشرع وعند المعاصي لله فلا تحصل عند مايحبه الله ورسوله من العبادات الشرعية فعلموا انها حينئذ من مخارق الشيطان لاوليائه لامن كرامات الرحمن لاوليائه

والله سبحانه وتعالى أعلم بالصواب واليه المرجع
والمآب وصلى الله وسلم على محمد سيد رسله
وأنبيائه وعلى آله وصحبه وأنصاره
وأشياعه وخلفائه صلاة
وسلاما نستوجب
بهما شفاعته
آمين
تم

ان أعلى ماتزينت به كتب الأواخر والأوائل * وأعلى ماجرى به جواد البراعة في مضمار الرسائل * حمد منزل الكتب السماويه * التي أجلها كتابه المنزه عن الحروف والكيفيه * والصلاة والسلام على المؤيد بالبراهين * من تشرفت الأندية بذكر علاه في كل وقت وحين * وعلى آله وأصحابه وأشياعه * المحافظين على سنته واتباعه * أما بعد * فقد تم طبع كتاب الفرقان * بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان * وهو كتاب حافل جامع * كثير الفوائد والمنافع * جليلة مفاخره * جميلة مآثره * لاسيما وهو تأليف ذي النفس الفاضله * والانسانية الكامله * والأريحية التامه * والعوارف العامه * الحائز قصبات السبق في كل علم خفي وجلي * شيخ الاسلام أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني الحنبلي * سقى الله ثراه صيب الرحمة والرضوان * وأسكنه أعلى فراديس الجنان * وكان هذا الطبع الرائق * البهي العظيم الفائق * على ذمة ذي الرشد والاصابه * والمجد والنجابه * الفاضل الكامل الناجح المتمسك بعقيدة السلف الصالح * السيد محمد بدر الدين أبي فراس النعساني * بلغه الله كامل الأماني * وكان تمام ذلك في أواخر شهر رجب سنة ١٣٢٢ هجريه على
صاحبها أفضل الصلاة
وأتم التحيه
آمين
م



فهرس كتاب الفرقان

صحيفه

٢ خطبة الكتاب ومقدمته

٤ فصل في وجوب التفريق بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان

١٤ فصل في أن من الناس من يكون فيه إيمان وفيه شعبة من نفاق

١٦ فصل في ان أولياء الله على طبقتين

٢٠ فصل في ان الله تعالى ذكر أوليائه في كتابه

٢٣ فصل في ان التفاضل في الولاية كالتفاضل في الايمان والتقوى

٢٤ فصل فيه تتميم لمعنى ماتقدم

٢٦ فصل في ان التقوى شرط لنيل الولاية

٢٩ فصل في ان أولياء الله لايتميزون بالامور المباحة والظاهرة عنه باقى الناس

٣٤ فصل في ان الولي ليس من شرط ولايته أن يكون معصوماً وانه يغلط ويخطىء ويخفي عليه بعض الامور في الشريعة

٤٦ فصل في ان الحقيقة هي ماتفق عليها الانبياء والمرسلون

٤٨ فصل في ان الانبياء أفضل من الاولياء الذين ليسوا بأنبياء

٦٢ فصل في اشتباه الحقائق الامرية الدينية بالحقائق الخلقية القدرية على كثير مس الناس

٧٨ فصل يرادف ماتقدم وان الله ذكر في كتابه الفرق بين الارادة والأمر الخ

صحيفه

٨٤ مطلب في ان كرامات أولياء الله انما حصلت باتباع الرسول صلى الله عليه وسلم

٨٥ مطلب في ذكر طرف من كرامات الصحابة والتابعين

١٠٣ فصل في ان النبي صلى الله عليه وسلم بعث الى جميع الانس والجن كافة

تم الفهرس



